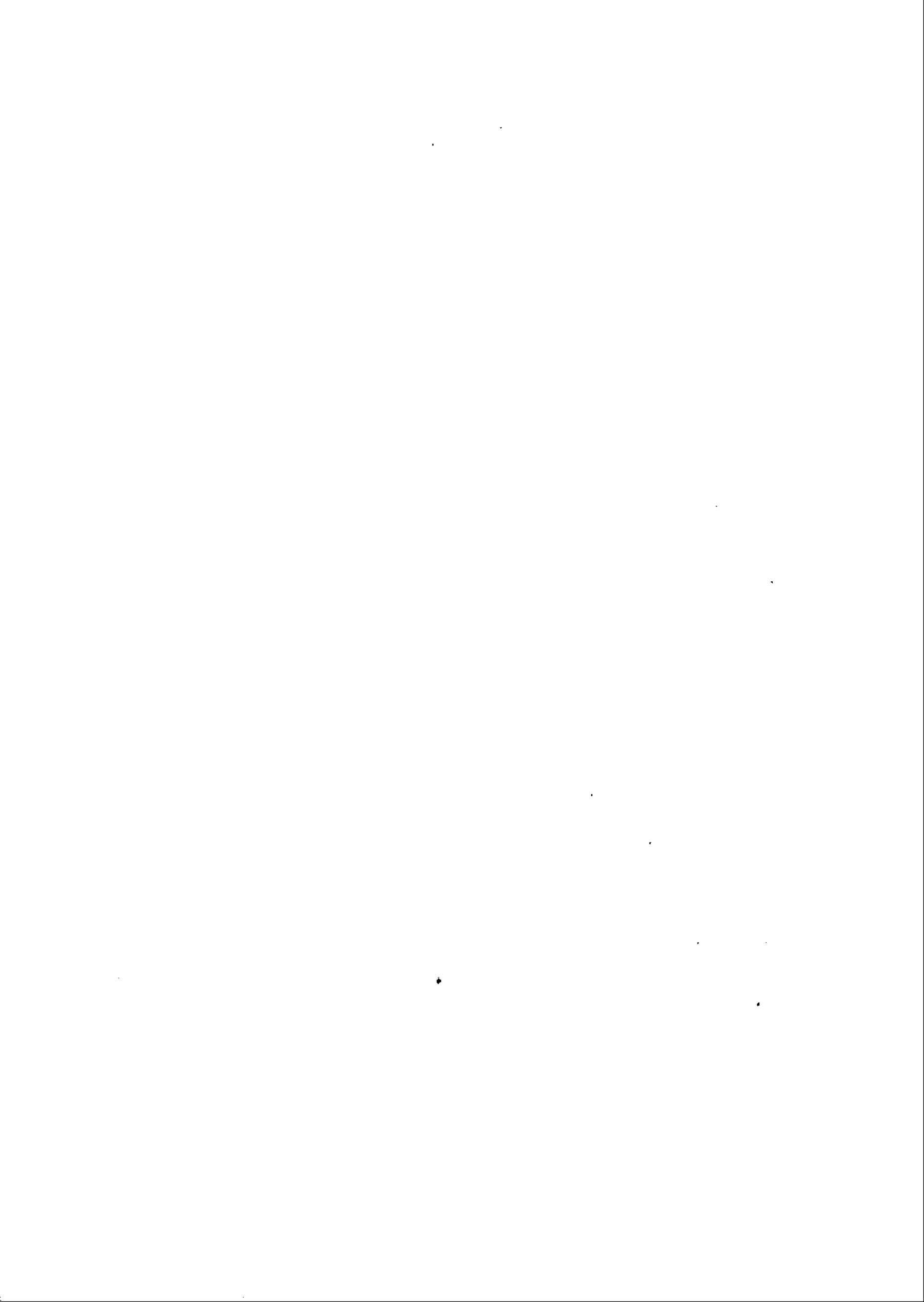
المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والفنون - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية - المجلد السابع - العدد الثالث ١٣٩٨ - ١٩٧٨ .





فصول مختارة من كتب الجاحظ

تحقيق الدكتور

حاتم صالح الضامن

بغداد ـ الجمهورية العراقية

وبعد فهذه فصول من كتب الجاحظ اختارها عبيدالله بن حسان ، منها ما نشر ومنها مالم ينشر ، وكنت قد طويت هذه الفصول منتظراً ان يخرجها للناس الاستاذ المحقق الثبت عبدالسلام هارون الذي وعدنا عام ١٩٦٤ أن ينشر بقية الرسائل في أجزاء لاحقة وخص بالذكر منها هذه الفصول .

وحينما طلب مني الاشتراك في العدد الخاص بالجاحظ من مجلة المورد الغراء قدمت هذه الفصول آملا أن يقف عليها عشاق التراث وراجياً العذر عما يعتورها من نقص وطالباً المعذرة من الاستاذ الفاضل عبدالسلام هارون فلربما تعجلت في نشرها ولكني مع هذا واثق بأنه سينشرها قريبا على صورة أفضل وعلى أصول اكثر مع بقية الرسائل ولله الحمد أولا وآخراً .

الفصول المختارة :

وهي الفصول التي اختارها عبيدالله بن حسان من كتب ورسائل للجاحظ فُقِد اكثرها ولم يبق لدينا منها غير هذه الفصول .

واليك فهرساً بهذه الفصول كما وردت في مخطوطتنا :

والمخطوطة كتبت سنة ١٠٨٠هـ على اصل كتب سنة ٤٤٣هـ . وهي في مكتبة طوبقبوسراي باستانبول ورقمها ١٥٣٨ . وعدد اوراقها ١٣٢ ورقة . عدد الاسطر ٢٧ . مقاسها ٢٥×١٩ .

اما الكتب والرسائل التي ارتأيت نشرها فهي :

اولا ـ الحاسد والمحسود :

سبق ان نشر هذا الكتاب في مجموعة الساسي ١٣٢٤هـ وعلى هامش كتاب الكامل للمبرد ١٣٢٣ـ ١٣٢٤هـ . ونشر منه ريشر مختارات سنة ١٩٣١ ولم اقف على هذه النشرة . ويلاحظ أن هناك خلافات كثيرة بين المخطوطة وبين النشرتين اللتين وقفت عليهما . وقد اشرت الى هذه الخلافات ورمزت لطبعة الساسي بالحرف (س) ولطبعة الكامل بالحرف (ك) وبهذا تكون هذه النشرة اقرب الى الكمال .

ومما يجدر ذكره ان للجاحظ رسالة أخرى في هذا الموضوع وهي : (فصل ما بين العداوة والحسد) نشرها الاستاذ هارون ضمن رسائل الجاحظ .

ثانيا ـ من كتابه في المعلمين :

نشر على هامش الكامل كما نشره ريشر فيما نقل بروكلمان ونشرة الكامل مليئة بالاخطاء وتختلف كثيراً عن المخطوطة وقد اثبت الخلافات وتركت كثيراً من الاخطاء المطبعية بلا اشارة .

ثالثا ـ طبقات المغنين :

نشر على هامش الكامل ونشره الساسي . والكتاب من الكتب القليلة التي نص فيها على تاريخ وضعها وقد نص فيه على انه (وضعه في سنة خمس عشرة ومائتين) .

رابعاً ـ النبل والتنبل وذم الكبر

لم ينشر هذا الكتاب كاملا من قبل وانما اقتطع منه القسم الاخير وألحق غلطاً بكتاب الرد على النصارى وذلك بهامش الكامل .

خامساً ـ تفضيل النطق على الصمت :

نشر على هامش الكامل ونشر ناقصاً في مجموعة الساسي وقد اشرت الى ذلك في موضعه مع تبيان الخلافات . ونشره ريشر فيما ذكر بروكلمان .

سادساً ـ في مدح التجار وذم عمل السلطان :

نشر على هامش الكامل ونشر في مجموعة الساسي وألحق به فصل من كتاب المعلمين خطأ . ونشره ريشر كما ذكر بروكلمان .

سابعاً ـ رسالته الى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وأصحابه :

نشرت على هامش الكامل ونشرها السندوبي في رسائل الجاحظ نقلا عن هامش الكامل اذ وجدت بينهما تطابقاً في التصحيف والتحريف . وقد قابلت مخطوطتي على هاتين النشرتين ورمزت الى السندوبي بالحرف ب . وقد نشرها رشر مع استنجاز الوعد والشارب والمشروب ولم اقف على نشرته .

ثامناً ـ رسالته الى أبي الفرج الكاتب في المودة والخلطة :

نشرت على هامش الكامل وفي رسائل السندوبي وفي النشرتين سقط وتحريف وتصحيف اشرت اليه في مقابلتي عليهما .

تاسعاً ـ رسالته في استنجاز الوعد :

نشرت على هامش الكامل ونشرت في طبعة الساسي وقد قابلت مخطوطتي على هاتين النشرتين .

عاشراً ـ كتاب الشارب والمشروب :

نشر على هامش الكامل وفي رسائل السندوبي وعند المقابلة وجدت كثيراً من التصحيف والتحريف فيهما وقد اثبت ذلك في الحواشي .

* * *

ولابد أن أذكر ان الطبعات السابقة لهذه الكتب لم تراع أصول النشر والتحقيق اضف الى ذلك انها نادرة جداً الآن إذ طبعت قبل خمس وسبعين سنة مما حفزني الى اعادة نشرها ليطلع الناس على تراث أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله .

واخيراً اقدم خالص شكري الى استاذي الفاضل الدكتور احمد ناجي القيسي إذ وضع بين يدي صورة للمخطوطة فأمد الله في عمره وكثر من أمثاله إنه سميع مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(١)

فصل من صدر كتابه في
الحاسد والمحسود

وهب الله لك السلامة ، وأدام لك الكرامة، ورزقك الاستقامة ، ورفع عنك الندامة .

كتبت إليّ — أيدك الله — تسألني عن الحسد ما هو ؟ ومن أين هو ؟ وما دليله[١] وأفعاله ؟ وكيف تُعرف[٢] أموره وأحواله ؟ وبِمَ يُعرف ظاهره ومكتومه ؟ وكيف يُعلم مجهوله ومعلومه ؟ ولِمَ صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء ؟ ولِمَ كثُر في الأقرباء وقلّ في[٣] البعداء ؟ وكيف دبَّ في الصالحين أكثر منه في الفاسقين ؟ وكيف خُصَّ به الجيران من بين جميع الأوطان ؟ .

والحسدُ — أبقاك الله — داءٌ[٤] ينهكُ الجسد ، ويفسدُ الأوَد ، علاجه عسرٌ ، وصاحبه ضجر ، وهو باب غامض ، وأمر متعذر ، وما ظهر منه فلا يُداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (دبَّ اليكم داءُ الأمم من قبلكم الحسدُ والبغضاء)[*]. [وقال بعض الناس لجلسائه : أيّ الناس أقلّ غفلةً ؟ فقال بعضهم : صاحب ليل إنّما همّه أنْ يقطع سفره . فقال : إنّه لكذا وليس كذاك . فقالوا له : فأخبرنا بأقلّ الناس فقال : الحاسد إنّما همّهُ أنْ ينزعَ الله منك النعمة التي أعطاكها فلا يغفل أبداً .

ويروى عن الحسن[٥] أنّه قال : (الحسدُ أسرعُ في الدين من النار في الحطب اليابس)][٦].

---

(١) س : دلائله .
(٢) س : تفرقت .
(٣) س: منه .
(٤) ك : من داء .
(*) الجامع الصغير ٢/١٤ .
(٥) هو الحسن البصري ، تابعي ، توفي ١١٠هـ، (حلية الأولياء ٢/١٣١ ، وفيات الاعيان ٢/٦٠ ، ميزان الاعتدال ١/٥٢٧) .
(٦) من ك ، س ، ورواية ك : (وليس كذا) في الموضعين .

وما أُتي المحسود من حاسده[7] إلاّ من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه ، قال الله عزّ وجلّ : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتابَ والحكمةَ وآتيناهم ملكاً عظيماً »[8] .

والحسدُ عقيدُ الكفر وحليف الباطل وضدُّ الحقّ وحربُ البيان ، فقد ذمّ الله أهل الكتاب به فقال : « ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ /(٢ب) لو يردُّونكم من بعدِ إيمانِكم كفاراً حَسَداً من عندِ أنفسِهِم »[9] .

منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومنتج كل وحشة ومفرِّق كلّ جماعة وقاطع كلّ رحم بين الأقرباء ومحدث التفرق بين القرناء وملقح الشر بين الخلطاء[10] ، يكمن في الصدر كمون النار في الحجر .

ولو لم يدخل[11] على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه واستكمان الحزن في جوفه وكثرة مضضه ووسواس ضميره وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه إلاّ استصغاره نعمة الله وسخطه على سيده بما أفاد غيره وتمنيه عليه أن يرجع في هبته إيّاه وأن لا يرزق أحداً سواه لكان عند ذوي العقول مرجوماً وكان لديهم في القياس مظلوماً .

[وقد قال بعض الاعراب : ما رأيت ظالماً أشبه مظلومه من الحاسد ، نَفَسٌ دائمٌ وقلبٌ هائمٌ وحزنٌ لازمٌ][12] .

والحاسدُ مخذولٌ وموزورٌ[13] ، والمحسودُ محبوبٌ ومنصورٌ . والحاسد مهموم ومهجور ، والمحسود مغشيٌّ ومسرورٌ[14] .

والحسدُ — رحمك الله — أول خطيئة ظهرت في السموات وأول معصية حدثت في الأرض خصّ به أفضل الملائكة فعصى ربّه وقايسه بخلقه واستكبر عليه فقال[15] : خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه وجعله ابليساً وأنزله من جواره بعد أنْ كان أنيساً وشوّه خلقه تشويهاً وموّه على حُلِيه[16] تمويهاً ، نسي به عزم ربّه فواقع الخطيئة فارتدع المحسود وتاب عليه وهدى ، ومضى اللعين الحاسدُ في حسده فشَقِيَ وغوى .

وأمّا في الأرض فابنا آدم ، حسد أحدهما[17] أخاه فعصى ربّه وأثكل أباه ، وبالحسد طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . لقد حمله الحسد على غاية القسوة وبلغ به أقصى

---

(7) س : حاسد .
(8) النساء ٥٤ .
(9) البقرة ١٠٩ ، وبعدها في س : « من بعدما تبين لهم الحق » .
(10) ك : الحلفاء .
(11) بعدها في س : رحمك الله .
(12) من س ، ك .
(13) س : مازور .
(14) س : مزور .
(15) س : وقال .
(16) س : انبيائه ، ك : مثيله .
(17) س : حيث قتل احدهما .

حدود العقوق فأنساه من رحمته جميع الحقوق إذْ ألقى الحجر عليه تفادخاً[١٨] وأصبح عليه نادماً صارخاً .

ومن شأن الحاسد إنْ كان المحسود غنياً أن يوبخه على المال فيقول[١٩] : جمعه حراماً ومنعه أيتاماً ، وغلب[٢٠] عليه محاويج أقاربه فتركهم له خصماً[٢١] وأعانهم في الباطل ، وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر ، فقال : لقد كفروا[٢٢] معروفك وأظهروا في الناس ذمّك ، ليس[٢٣]/(١٣) أمثالهم يوصلون فانهم لا يشكرون . وإنْ وجد له[٢٤] خصماً أعانه عليه ظلماً ، وإن كان ممن يعاشره فاستشاره غشّه أو تفضل عليه بمعروف كفره أودعاه الى نصر خذله وإنْ حضر مدحه ذمّه وإنْ سُئل عنه همزه وإن كانت عنده شهادةٌ كتمها وإنْ كانت منه اليه زلّةٌ عظّمها ، يحب أنْ يُعاد ولا يعود ويرى عليه القعود .

وإنْ كان المحسود عالماً قال مبتدعٌ ، لرأيه متبعٌ ، حاطب ليل ومبتغي نيل ، لا يدري[٢٥] ما حمل قد ترك العمل وأقبل على الحيل . قد أقبل بوجوه الناس اليه وما أحمقهم إذ انثالوا[٢٦] عليه فقبّحه الله من عالم ما أعظمَ بليّته وأقلَّ رعيّته وأسوأَ طِعْمته .

وإنْ كان المحسود ذا دين قال : يتصنّع إنْ يوصى إليه[٢٧] ويحج لشيء[٢٨] عليه ويصوم لتُقبل شهادته ويُظهر النسك ليُودع المال ببيته[٢٩] ويقرأ في المسجد ليزوّجه جاره ابنته ، ويحضر الجنائز لتُعرف شهرته .

وما لقيتَ حاسداً قط إلاّ تبيَّنَ لك[٣٠] مكنونه بتغيّر لونه وتخوّص عينه واخفاء سلامه والاقبال على غيرك والاعراض عنك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك .

وكان عبدالله بن أُبَيّ قبلَ نفاقه نسيج[٣١] وَحْدِهِ لجودة رأيه وبُعد همته ونبل شيمته وانقياد العشيرة له بالسيادة[٣٢] وإذعانهم له بالرياسة ، وما استوجب ذلك إلاّ بعدما استجمع له[٣٣] لبّه وتبيّن لهم عقله وفقدبينهم[٣٤] جهله ورأوه لذلك أهلاً لما أطاق له حملاً . فلمّا بعث الله نبيه صلى الله عليه وقدم المدينة ورأى عزّه تشمّخ بأنفه فهدم اسلامه بحسده وأظهر نفاقه[٣٥] . وما صار منافقاً حتى صار[٣٦] حسوداً وما صار حسوداً حتى صار

---

(١٨) الفدخ : الشدخ ، ورواية س : شادخاً .
(١٩) س : توبيخه على المال وقال .
(٢٠) س : الب .
(٢١) س خصماء .
(٢٢) س : وقال له كفروا .
(٢٣) س : فليس .
(٢٤) من س . في الأصل : لهم .
(٢٥) س : ومتبع نيل ما يدري .
(٢٦) س : مالوا .
(٢٧) س : متصنع يغزو ليوصى اليه .
(٢٨) س : ليثنى ، ك : بشيء .
(٢٩) (ويصوم ... ببيته) ساقط من س .
(٣٠) من س ، وفي الاصل : له .
(٣١) ك : يسبح . وعبدالله بن ابيّ المشهور بابن سلول ، ت سنة ٩ هـ . (المحبر ٢٣٣ ، المعارف ٣٤٣ ، امتاع الاسماع ١/٩٩) .
(٣٢) س : بالسيادة والسعادة .
(٣٣) ك : لهم .
(٣٤) س : وافتقدوا منه .
(٣٥) س : ورأى هو عزّ رسول الله شمخ بأنفه فحسده فهدم اسلامه واظهر نفاقه . ورواية ك : لحسده . وفي الاصل : ورأى غيره ، وما اثبتناه اصوب .
(٣٦) من س ، ك . وفي الاصل : كان .

حقوداً فحمق بعد اللبّ وجهل بعد العقل وتبوّأ النار بعد الجنة . ولقد خطب النبي صلى الله عليه بالمدينة فشكاه الى الأنصار فقالوا : يارسول الله لا تلمه فإنا كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لنتوّجه ولو سلم المخذول قلبه من الحسد لكان من الاسلام بمكان ومن السؤدد في ارتفاع فوضعه الله لحسده وأظهر نفاقه ، [ولذلك قال القائل :

طال على الحاسد أحزانه ... فاصفرّ من كثرة أحزانه

دعه فقد أشعلت في جوفه ... ما هاج منه حرّ نيرانه

العيب أشهى عنده لذّة ... من لذّة المال لخزانه

فارمِ على غاربه حبله ... تسلم من كثرة بهتانه][37]

[ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لاحسد إلاّ في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه ورجل آتاه الله قرآناً فهو يقوم به في آناء الليل والنهار)[38] كان ما سواهما مذموماً وصاحبه عليه مقلياً .

وربما نتج الحسد الكبر فيبلغ صاحبه في المقت غايته وفي البغض من جميع الخلق نهايته فلا يمرّ بملأ إلاّ مضغوه ولا يذكر في مجلس إلاّ سبوه . وأشهد أنّه في ملكوت السماء أشدّ مقتاً لأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : (أنتم شهداء الله في الأرض فما رأى المسلمون حسناً كان عند الله حسناً وما رآه المسلمون قبيحاً سيّئاً فهو عند الله سيّء)[*] .

فصل في حسد الجيران

وقال بعضهم : إني اشتري اللحم فأخفيه من جيراني مخافة أن يحسدوني][39] . / (٣ ب) وذلك أنّ الجيران — رحمك[40] الله — طلائع عليك وعيونهم نواظر اليك فمتى[41] كنت بينهم معدماً فأيسرتَ فبذلتَ واعطيتَ وكسوتَ وأطعمتَ وكانوا في مثل حالك فاتضعوا وسُلبوا النعمة وأُلبستَها[42] فعظمت[43] عليهم بليّة الحسد وصاروا منه في تبغيض[44] آخر الأبد .

ولولا أنّ المحسودَ بنصر الله إيّاه مستورٌ وبصنعه محجوب[45] ، لم يأتِ عليه يوم إلاّ كان مقبوراً ، ولم تأت[46] ليلة إلاّ وكان عن منافعه مقصوراً ، ولم يمسِ إلاّ ومالهُ مسلوبٌ ودمه مسفوكٍ وعرضه بالضرب منهوك .

(٣٧) من س ، ك . وتقدمت الابيات في س قبل الحديث عن عبدالله بن ابي .
(٣٨) في رواية الحديث خلاف ، ينظر : صحيح مسلم ٥٥٨-٥٥٩ وفتح الباري ٢١٩/٣ .
(*) ينظر مسند ابن حنبل ٣٧٩/١ .
(٣٩) انفردت س بهذه الزيادة ، وكل زيادة لم اشر اليها فهي من س فقط .
(٤٠) ك : يرحمك .
(٤١) من س ، وفي الأصل و ك : فعسى .
(٤٢) س : والبستها انت .
(٤٣) ك : عظمت .
(٤٤) س : تنغيص .
(٤٥) س : وهو بصنعه محجور .
(٤٦) س : ولابات .

[وقال مالك بن دينار[٤٧] : (تقبل شهادة القرّاء في كل شيء إلّا بعضهم على بعض فاني وجدتهم أشدّ تحاسداً من التيوس تشدّ النعجة فيهبّ عليها هذا التيس مرّة وهذا التيس مرّة).

وضرر الحسود الى صديقه أكثر منه الى عدوه ، والى خليطه أظهر منه الى مفارقه ، والى قريبه أسرع منه الى بعيده .

وذكر حُمَيْد الطويل[٤٨] أنّه سأل الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فقال : يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن ؟ فقال : أنسيت لا أبالك إخوة يوسف المؤمن يحسد ولكن مالم يظهر بلسانه ويده] .

فصل منه

وأنا أقول حقاً ما خالط الحسد قلباً إلّا لم يمكنه ضبطه ولا قدر على تشحينه وكتمانه حتى يتمرّد عليه بظهوره[٤٩] واعلانه فيستعبده ويستعمله ويستنطقه لظهوره عليه ، فهو[٥٠] أغلب على صاحبه من السيد على عبده ، ومن السلطان على رعيته ، ومن الرجل على زوجته ، ومن الآسر على أسيره .

وكان ابن الزبير[٥١] بالصبر موصوفاً وبالدهاء معروفاً وبالعقل موسوماً وبالمداراة منهوماً فاظهر بلسانه حسداً كان أضبّ[٥٢] عليه أربعين سنة لبني هاشم فما اتسع قلبه لكتمانه ولا صبر على اكتتامه[٥٣] لمّا طالت في قلبه طيلة[٥٤] أظهره وأعلنه مع صبره على المكاره وحمله نفسه على خسفها وقلّة اكترائه والتفاته لأحجار المجانيق التي تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه ما يلتفت اليها .

حُدّثت بذلك عن علي بن مُسْهِر[٥٥] عن الأعمش[٥٦] عن صالح بن حيّان[٥٧] عن سعيد بن

---

(٤٧) من رواة الحديث ، ت ١٣١هـ ، (حلية الأولياء ٢/٣٥٧ ، وفيات الاعيان ٤/١٣٩ ، تهذيب التهذيب ١٠/١٤) .

(٤٨) من رواة الحديث ، ت ١٤٢هـ . (طبقات ابن خياط ١٧ ، تقريب التهذيب ١/٢٠٢ ، خلاصة تذهيب الكمال ١/٢٥٨) . وقول الحسن في عيون الاخبار ١/٩ وبهجة المجالس ١/٤٠٧ .

(٤٩) س : في ظهوره .

(٥٠) س : لقهره عليه ولهو .

(٥١) عبدالله بن الزبير بن العوام ، ت ٧٣ هـ . (حلية الاولياء ١/٣٢٩ ، فوات الوفيات ٢/١٧١ ، الاصابة ٤/٨٩) .

(٥٢) اي لازمه . وفي ك : واظب .

(٥٣) (أربعين ... اكتتامه) ساقط من س .

(٥٤) س : طائلته .

(٥٥) من رواة الحديث ، ت ١٨٩هـ . (مشاهير علماء الامصار ١٧١ ، تقريب التهذيب ٢/٤٤ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢/٢٥٧) .

(٥٦) سليمان بن مهران ، تابعي ، ت ١٤٨هـ . طبقات ابن سعد ٦/٣٤٢ ، الجرح والتعديل ٢/١/١٤٦ ، معرفة القراء الكبار ٧٨) .

(٥٧) في الاصل و ك : صالح بن حباب وفي س : طلح بن اب والصواب ما أثبتنا . وهو من رواة الحديث (ميزان الاعتدال ٢/٢٩٢ ، تقريب التهذيب ١/٣٥٨ ، خلاصة تذهيب الكمال ١/٤٥٩) .

جبير[٥٨] قال[٥٩] : قدت ابن عباس[٦٠] حتى أدخلته على ابن الزبير ، قال[٦١] : أنت الذي تؤنبني ؟ قال : نعم لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : ليس بمؤمن مَنْ بات شبعان وجاره طاوٍ[*]. فقال له ابن الزبير[٦٢] : لمن قلت ذلك إني لأكتم بغضكم أهل البيت مذ أربعين سنة • فحسر ابن عباس عن ذراعيه كأنهما عسيبا نخل ثم قال لابن الزبير : نعم فليبلغ ذاك منك ماعرفتك • ولقد أجلت الرأي ظهر البطن وفكرت في جوابه لابن عباس أنْ أجد له معنى سوى الحسد فلم أجده • وكانت وخزة في قلبه فلم يبدها • وفروع بني هاشم حول الحرم باسقة ، / (١٥) وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية ، ومجالسهم من أعاليها عامرة ، وبحورها بأرزاق العبادة زاخرة ، وأنجمها بالهدى زاهرة • فلما خلت البطحاء من صناديدها استقبله بما أكن[٦٣] في نفسه ، والحاسد لا يغفل عن فرصته الى أنْ يأتي الموت على رمته • ومااستقبل ابن عباس بذلك ألا لما رأى من تقدمه[٦٤] على أهل القدم[٦٥] ونظر اليه وقد أطاف به أهل الحرم فأوسعهم حكماً وثقبوا منه رأياً وفهماً واوسقهم[٦٦] علماً وحلماً •

[ويروى عن ابن سيرين[٦٧] أنّه قال : (مارأيت أكثر علماً ولحماً من منزل ابن عباس) •

فصل منه[٦٨]

وأمّا أنا فحقاً أقول لو ملكت عقوبة الحاسد لم أعاقبه بأكثر مما عاقبه الله به بإلزامه الهموم قلبه وتسليطها عليه فزاده الله حسداً وأقامه عليه أبداً] •

وكيفَ يصبرُ مَن استكنّ الحسدُ في قلبه على أمانته[٦٩] ؟ ولقد كان إخوة يوسف حلماءَ وأجلةً[٧٠] علماءَ ولدهم الأنبياء فلم يغفلوا عما قدح في قلوبهم من الحسد ليوسف حتى أعطوا أباهم المواثيق المؤكدة والعهود المقبلة[٧١] والأيمان المغلظة أنهم له حافظون ، وهو شقيقهم وبضعةٌ منهم ، فخالفوا العهود ووثبوا عليه بالظلم وألقوه في غيابة الجبّ وجاءوا على قميصه بدم كذب • فبظلمهم يوسف ظلموا أباهم طمعاً أنْ يخلو لهم وجه أبيهم وينفردوا بحبه ، وظنوا أنّ الأيام

---

(٥٨) تابعي ، ثقة ، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ . (طبقات ابن سعد ٢٥٦/٦ ، معرفة القراء الكبار ٥٦) .
(٥٩) س : انه قال .
(٦٠) عبدالله بن عباس ، ابن عم الرسول ، توفي بالطائف وقد كفّ بصره سنة ٦٨هـ . (نسب قريش ٢٦ ، نكت الهميان ١٨٠ ، الاصابة ١٤١/٤) .
(٦١) س : فقال له ابن الزبير .
(*) النهاية في غريب الحديث والاثر ١٤٦/٣ .
(٦٢) رواية س هي : فقال له ابن الزبير : قلت ذاك ، واتبعه بقول يدل على حسد كان ابن عباس من شره معصوماً ، وكان ذاك بما في قلبه لبني هاشم مهزوماً ، وكانت وخزة ثقيلة فلم يبدها له .
(٦٣) س : اكمن .
(٦٤) س : لما راى عمر قدمه .
(٦٥) من س ، ك . وفي الأصل : الحرم .
(٦٦) اي : حمّلهم . وفي س : واشبعهم علماً ولحماً . وفي ك : وسبقهم .
(٦٧) محمد بن سيرين ، تابعي ، ت ١١٠هـ . (تاريخ بغداد ٣٣١/٥ ، خلاصة تذهيب الكمال ٤١٢/٢ ، طبقات القراء ١٥١/٢) .
(٦٨) (فصل منه) ليس في س .
(٦٩) س : أمانيه .
(٧٠) ساقطة من س .
(٧١) س : المقلدة .

تسليه وحبه لهم من بعد غمّه يلهيه فأسالوا عبرته وأحرقوا قلبه • وكيف تقرُّ أعين الحاسدين[٧٢] بعد يوسف وقد ملّكه الله خزائن الأرض بصبره على أذى حسّاده ومقابلته[٧٣] إيّاهم بالعفو والمكافأة بحسن[٧٤] العشرة والمؤاخاة بعد إمكانه منهم لمّا أتوه ممتارين ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون فأحسن رفدهم وأكرم قراهم فأقروا له لما عرفوه بالاذعان وسألوه بعد ذلك الغفران وخروا له سُجّداً لما وردوا[٧٥] عليه وفداً •

فإذا أحسست ــ رحمك الله ــ من صديقك بالحسد فاقلل ما استطعت من مخالطته فانّه أهونُ الأشياء[٧٦] على مسالمته ، وحصّن سرّك منه تسلم من شدّة[٧٧] شرّه وعوائق[٧٨] ضرّه • وإيّاك والرغبة في مشاورته ولا يغرنّك خدعُ مَلَقِه وبيانُ ذلقِه فإن ذلك من حبائل نفاقه[٧٩] • فإنْ أردت أن تعرفَ آية مصداقه فدسّ[٨٠] اليه من يهينك[٨١] عنده ويذمك بحضرته فإنّه سيُظهر / (٤ ب) من شأنه[٨٢] لك ما أنت به جاهل" ومن خلاف المودة ما أنت عنه غافل" • وهو ألحُّ[٨٣] في حسده لك من الذباب وأسرع في تمزيقك من السيل الى الحدور • وما أحب أنْ تكون عن حاسدك غبيّاً ، وعن[٨٤] فهمك بما في ضميره نسيّاً ، إلّا أنْ تكونَ للذل محتملاً ، وعلى الدناءة مشتملاً ، ولأخلاق الكرام مجانباً وعن محمود شيمهم ذاهباً ، أو تكون بك إليه حاجة" قد صيّرتك لسهام الرماة هدفاً وعرضك لمن أرادك[٨٥] غرضاً ، [ولو نلت بذلك كنوز قارون لم يكن ذلك مما بذلت عوضاً] •

وقد قيل على وجه الأرض[٨٦] : الحرّة تجوع ولا تأكل بثدييها[٨٧] • وربّما كان الحسد للمصطنع[٨٨] اليه المعروف أكفر له وأشدّ احتقاراً[٨٩] وأكثر تصغيراً له من أعدائه •

[وكان الحسن بن هانيء[٩٠] يرتع على مائدة اسماعيل الهاشمي[٩١] وكان من المطعمين للطعام المسرفين فعارضَ الحسنَ بن هانيء يوماً بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند اسماعيل • فقال له : ما أطعمكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب في قحف خنزير •

---

(٧٢) س : وكيف لا تقر عيون المحسودين .
(٧٣) س : ومقاصته .
(٧٤) س : وحسن .
(٧٥) س : قدموا .
(٧٦) س : اعون الأشياء لك على .
(٧٧) س : شذى . و (شدة) ساقطة من ك .
(٧٨) ك : بوائق .
(٧٩) س : ثقفه . اي حذقه .
(٨٠) ك : فادنين ، وفي س : فدس له .
(٨١) س : يهجنك .
(٨٢) س : تشبيبه .
(٨٣) س : الجّ .
(٨٤) س : ولا عن . وفي ك : وعن همك .
(٨٥) ك : اباذك .
(٨٦) س : الدهر . ك : العرض .
(٨٧) الفاخر ١٠٩ ، جمهرة الأمثال ١/٢٦١ ، فصل المقال ٢٨٩ .
(٨٨) س : الحاسد المصطنع .
(٨٩) س : اجتهاداً . ك : احتقاراً منه .
(٩٠) هو ابو نواس الشاعر المشهور ، ت ١٩٨هـ . (الشعر والشعراء ٧٩٦ ، تاريخ بغداد ٧/٤٣٦ ، الخزانة ١/١٦٨) .
(٩١) اسماعيل بن صالح ، امير عباسي ، ت ١٩٠هـ ، (ولاة مصر ١٦٤ ، النجوم الزاهرة ٢/١٠٥ ، حسن المحاضرة ٢/١٧) .

فلم يكن منه هذا القول إلا على وجه الحسد ، ولم يسلم منه مع كثرة أُنسه به وكثرة سيبه اليه حتى احتشد واحتفل في الذمّ له والتهجين لطعامه .

ولولا شدة ورع ابن سيرين وصدق لهجته لم يكن قوله فيما قال وأخبر عن نفسه من اطراح الحسد عن قلبه مروياً عنه ، وعند ذوي العقول معجباً حيث قال : ما حسدت أحداً على شيء إن كان من أهل الجنة ، فما حسدي لرجل من أهل الجنة ؟ وإنْ كان من أهل النار ، فما حسدي لمن يصير الى النار ؟] .

فصـل منـه

ومتى رأيت حاسداً يصوّب لك رأياً وإنْ كنت مصيباً أو يرشدك الى صـواب وإن كنت مخطئاً أو أفصح[٩٢] لك بالخير في غيبته عنك أوقصّر من عيبه لك فهو الكلبُ الكلِبُ والنمرُ الحربُ[٩٣] والسمُ القَشِبُ[٩٤] والفحلُ القطِمُ[٩٥] والسيل العرِمُ ، إنْ مَلَكَ قَتَلَ وسبى وإنْ مُلِك عصى وبغى ، حياتُكَ موتُه [وثبورُهُ] وموتُكَ عرسُهُ وسرورُهُ ، يُصدِّقُ عليك كلّ شاهد زور ويُكذِّبُ [فيك] كلّ عَدْلٍ مرضي ، لا يُحبُّ من الناس إلا من يبغضك . ولا يبغض إلا من يحبك ، عدوك بطانةً ، وصديقك علانيةً[٩٦] .

وقلتَ[٩٧] : إنك ربما غلطت في أمره ، لما يُظهر لك من برّه . ولو كنت تعرف الجليل من الرأي والدقيق من المعنى . وكنتَ في مذاهبك فطناً نقاباً ، ولم تك في عيب مَنْ ظهر[٩٨] لك عيبه مرتاباً ، لاستغنيت بالرمز عن الإشارة ، وبالاشارة عن الكلام وبالسرّ عن الجهر ، وبالجهر[٩٩] عن الرفع ، والاختصار عن التطويل ، وبالجُمَل عن التفصيل ، وأرحتنا من طلب التحصيل . ولكني[١٠٠] أخاف عليك أنّ قلبك لصديقك غير مستقيم وأنّ[١٠١] ضمير قلبك غير سليم . [إنك غير سالم منه] وإنْ رفعتَ القذى عن لحيته ، وسوّيتَ عليه[١٠٢] ثوبه فوق مركبه[١٠٣] ، ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته ، واغتفرت له الزلّة [بعد زلته] ، واستحسنت كلّ ما يقبح من شيمته وصدقته على كذبه / (١٥) وأعنته على فجرته . فما هذا الغباء[١٠٤] ، [وما هذا الداء العياء] ، كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبة[١٠٥] الله تعالى

(٩٢) س : نصح .

(٩٣) من س . وفي الأصل : النمر . والحرب الذي اشتد غضبه .

(٩٤) القشْب والقَشَب : السم . والقَشَب بكسر الشين والقشيب : الجديد والخَلَق ، فهو من الاضداد (اضداد الاصمعي ٥٩ ، اضداد ابن الانباري ٢٦٣) .

(٩٥) القطم : الكثير المضى .

(٩٦) رواية س : عدوك بطانته وصديقك علاوته .

(٩٧) ساقطة من س . وفيها : وإنك .

(٩٨) س : اوضح .

(٩٩) س : وبالخفض .

(١٠٠) س : ولكن .

(١٠١) س : كما انّ .

(١٠٢) ك : علياه .

(١٠٣) س : منكبه .

(١٠٤) س : العناء .

(١٠٥) من س . وفي الأصل : مخاطبته نبيه .

نبيّه عليه السلام في التقدمة اليه بالاستعاذة من شر حاسد إذا حسد[106] ، أتطلبْ ـ ويحك ـ أثراً بعد عين[107] ، أو عطراً بعد عروس[108] ،أو تريد أن تجتني عنباً من شوك[109] ، أو تلتمس حلب لبن من جمل[110] • إنك إذاً أعيا من باقل[111] ، وأحمق من الضبع[112] ، وأغفل من هرم[113] ، إنْ كنت تجهل بعدما أعلمناك ،وتعوّج بعدما قوّمناك ، وتبلّد بعدما ثقفناك ، وتضلّ إذ هديناك وتنسى[114] إذ ذكّرناك ،[وتغبى عما فهّمناك] فأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ ، وعمي عن المنافع ،فختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة، فنعوذ بالله من الخذلان •

إنّه لا يأتيك ولكن يناديك ولا يحاكيك ولكن يوازيك[115] • أحسن ما تكون عنده حالاً [أقل مايراك مالاً وأكثر ما تكون عيالاً و]أعظم ما تكون ضلالاً • وأفرح ما يكون بك أقرب ما تكون بالمصيبة عهداً وأبعد ما تكون[من الناس حمدا] •

فإذا كان الأمر على هذا ، فمجاورة الموتى[116] ، ومخالطة الزمنى ، والاكتنان[117] بالجدران ، ومصّ[118] المصران وأكل القردان أهون من معاشرة مثله[119] والاتصال بحبله •

والغلّ تنيج الحسد ورضيعه[120] ، وغصن من أغصانه ، وعون من أعوانه ، وشعبة من شعبه ، وفعل من أفعاله ،[وحدث من أحداثه] •كما أنّه ليس فرع إلّا له أصل ، ولا مولود إلّا له مُوَلّد[121] ، ولا نبات إلّا من أرض ، ولا رضيع إلّا من مرضع[122] • وإن تغير اسمه فانّه صفة من صفاته ونبت من نباته ونعت من نعوته • ورأيت الله جلّ جلاله ذكر الجنة في كتابه فحلّاها بأحسن حلية وزيّنها بأحسن زينة وجعلها دار أوليائه ومحل أنبيائه ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ،فذكر في كتابه ما منّ به عليهم من السرور والكرامة عندما دخلوها وبوّأها لهم فقال : « إنّ المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين »[*] فما أنزلهم دار كرامته إلّا بعدما نزع الغلّ والحسد من قلوبهم فتهنوا بالجنة وقابلوا اخوانهم على السرر وتلذّذوا بالنظر في مقابلة الوجوه بسلامة[123] صدورهم ونزع / (٥ ب) الغل

---

(١٠٦) من الآية ٥ من سورة الفلق .
(١٠٧) ينظر المثل في جمهرة الأمثال ٣٨٩/٢ ومجمع الأمثال ٢١٥/٢ .
(١٠٨) الفاخر ٢١١ ، الوسيط في الأمثال ١٩٥ .
(١٠٩) فصل المقال ٣٧٩ ، جمهرة الأمثال ١٠٥/١ .
(١١٠) س : حائل .
(١١١) الدرة الفاخرة ٣١١ ، ثمار القلوب ١٢٧ . وفي س : لأعيا .
(١١٢) الدرة الفاخرة ١٤٩ ، المستقصى ٧٥/١ .
(١١٣) مخنث كان في زمن الرسول (ينظر : الدرة الفاخرة ١٨٢) .
(١١٤) س : لما .
(١١٥) س : محاكمك .. يوازنك .
(١١٦) س : الأموات .
(١١٧) ك : الاجتنان .
(١١٨) ك : ومصر .
(١١٩) من س . وفي الأصل : معاشرته .
(١٢٠) س : ينتج الحسد وهو رضيعه .
(١٢١) س : من مولد .
(١٢٢) س : له موضع .
(*) الحجر ٤٥-٤٨ .
(١٢٣) ك : لسلامة .

[والحسد] من قلوبهم • ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا لذاذة الجنة ولتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا ووافعوا[١٢٤] الخطيئة ولمسّهم فيها النصب وأُعقبوا منها الخروج ، لأنّه عزّ وجلّ فضّل[١٢٥] بينهم في المنازل ورفع درجاتٍ بعضهم فوق بعض في الكرامات وسنّى العطيات • فلمّا نزع الحسد والغلّ من قلوبهم ظنّ أدناهم منزلة فيها وأقربهم بدخول الجنة عهداً أنه أفضلهم منزلاً وأكرمهم[١٢٦] درجة وأوسعهم داراً بسلامة قلبه ونزع الغلّ من صدره فقرّت عينُه وطابَ أكلُه • ولو كان غير[١٢٧] ذلك لصاروا الى التبغيض[١٢٨] في النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب ولحدثت[١٢٩] فيهم العيوب والذنوب •

وما أرى السلامة إلّا في قطع الحاسد ،ولا السرور إلّا في افتقاد وجهه ، ولا الراحة إلّا في صرم مداراته ، ولا الربح إلّا في ترك مكافأته[١٣٠] • فإذا فعلت ذلك فكل هنيّاً [واشرب] مريّاً [ونم رخيّاً] وعش في السرور مليّاً •

ونحن نسأل الله الجليل أن يصفي كدر صدورنا[١٣١] ويجنبنا وإياك [دناءة الأخلاق ويرزقنا وإيّاك] حسنَ[١٣٢] الألفة والاتفاق ،ويحسن[١٣٣] توفيقك وتسديدك[١٣٤] والسلام •

(١٢٤) س : اوقعوا .
(١٢٥) س : فاضل .
(١٢٦) س : واكثرهم .
(١٢٧) (غير) ساقطة من س .
(١٢٨) س : التنغيص .
(١٢٩) س . ك : وحدثت .
(١٣٠) س : مصافاته .
(١٣١) س : قلوبنا . ك : صدرنا .
(١٣٢) من س . وفي الأصل و ك : سوء .
(١٣٣) من ك . وفي الأصل : حسن . وفي س : احسن .
(١٣٤) ساقطة من س .

(٢)

فصل من صدر كتابه في

المعلمين

أعانك الله على سَورة الغضب ، وعصمك من سَرَف[1] الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة الى حب الإنصاف ، ورهج في قلبك ايثار الأناة ، فقد استعملت في المعلمين نزق[2] السفهاء وخطل الجهلاء ومفاحشة الأبذياء ومجانبة سبل الحكماء وتهكم المقتدرين وأمن المغترين ومَنْ تعرض للعداوة وجدها حاضرة ولا حاجة بك الى تكلف ما كُفيتَ .

فصل منه

ولولا الكتابُ لاختلت أخبار الماضين ، وانقطعت آثار الغائبين ، وإنما اللسان للشاهد لك والعلم للغائب عنك وللماضي قبلك والغابر بعدك ، فصار نفعه أعمّ والدواوين اليه أفقر . والملك المقيم بالواسطة لا يدرك مصالح أطرافه وسد ثغوره وتقويم سكان مملكته إلّا بالكتاب . ولولا الكتاب لما تمّ تدبير ولا استقامت / (١٦) الأمور . ورأينا[3] عمود صلاح الدين والدنيا إنما يعتدل في نصابه ويقوم على أساسه في الكتاب والحساب ، وليس علينا لأحد في ذلك من المنّة بعد الله الذي اخترع ذلك لنا ودلنّا عليه وأخذ بنواصينا اليه .

ما للمعلمين الذين سخرهم لنا ووصل حاجتهم الى ما في أيدينا وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وحاجتهم وفحشت عليهم وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيتَ لآباء الصبيان عن ابطاء المعلمين عن تحديقهم ولم ترث للمعلمين عن ابطاء الصبيان عما يراد بهم وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه والمعلمون أشقى بالصبيان من رعاة الضأن ورواض المهارة ولو نظرت من جهة النظر علمت أنّ النعمة فيهم عظيمة سابغة والشكر عليها لازم واجب .

(١) ك : ثورة .   (٢) ك : نوك .   (٣) ك : وقد راينا .

فصل منه

وأجمعوا على أنهم لم يجدوا كلمة أقل حرفاً ولا أكثر ريعاً ولا أعم نفعاً ولا أحث على بيان ولا أدعى الى تبيّن ولا أهجى لمن ترك التفهم وقصّر في الأفهام من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : (قيمةُ كلِّ امرىءٍ ما يُحسِنُ) • وقد أحسن من قال : (مذاكرةُ الرجالِ تلقيحٌ لألبابِها) •

وقد كرهت الحكماءُ الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير جودةَ الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا : (الحفظُ عذقُ الذهنِ) • ولأن مستعمل الحفظ لا يكون إلّا مقلداً والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود أنه متى أدام الحفظ أضرّ ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضرّ ذلك بالحفظ وإنْ كان الحفظ أشرف منزلة منه ومتى أهمل النظر لم تسرع اليه المعاني ومتى أهمل الحفظ لم يعلق بقلبه وقلّ مكثها في صدره •وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط واللذان يعالجان به ويستعينان متفق عليه ألا وهو فراغ القلب للشيء والشهوة له وبهما يكون التمام وتظهر الفضيلة • ولصاحب الحفظ سبب آخر يتفقان عليه وهو الموضع والوقت : / (٦ ب) فأما الموضع فأيهما يختاران[٤] إذا أرادا ذلك الفرق دون الشغل • وأمّا الساعات فالأسحار دون سائر الأوقات لأنّ ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال وتعقب تمام الراحة والجمّام لأنّ للجمّام[٥] مقداراً هو المصلحة كما أنّ للكدّ مقداراً هو المصلحةُ •

فصل منه

ويستدل أيضاً بوصايا الملوك للمؤدبين في أبنائهم وفي تقويم أحداثهم على أنّهم قد قلدوهم أمورهم • وضبرهم بلوغ التمام في تأديبهم وماقلدوهم ذلك إلّا بعد أن ارتفع اليهم في الخبر[٦] حالهم في الأدب وبعد أن كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص •

وأنت حفظك الله لو استقصيتَ عدد النحويين والعروضيين والفرائضيين[٧] والحساب والخطاطين لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار فكم تظن انا وجدنا منهم من الرواة والقضاة والحكماء والولاة من المناكير والدهاة[٨] ومن الحماة والكفاة ومن القادة والذادة ومن الرؤساء والسادة ومن كبار الكتاب والشعراء والوزراء والادباء ومن أصحاب الرسائل والخطابة والمذكورين بجميع أصناف البلاغة ومن الفرسان وأصحاب الطعان ومن نديم كريم وعالم حكيم ومن مليح ظريف ومن شاب عفيف ولا تستعجل[٩] بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب وتبلغ أقصى

(٤) ك : يختار .
(٥) في الأصل و ك : الحمام . وهو تصحيف . والجمام . بفتح الجيم : الراحة .
(٦) ك : الحنو .
(٧) ك : الفرضيين .
(٨) ك : المناكير الدهاة .
(٩) ك : تعجل .

العذر فانك إنْ كنت تعمدتَ تذممتَ وإنْ كنتَ جهلتَ تعلمتَ وما أظن من أحسن بك الظن إلا وقد خالف الحزم .

فصل منه

قال المعلم وجدنا كل صنف من جميع ما بالناس الى تعلمه حاجة معلمين[10] كمعلمي الكتّاب والحساب، والفرائض والقرآن والنحو والعروض والأشعار والأخبار والآثار ، ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يُعلّمهم الكتاب والحساب ثم لعب الصوالجة والرمي في التنبوك والمجثمة والطير الخاطف ورمي البنجكاز والبنادق وقبل ذلك الدبوق والنفخ في الشيطار[11] وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة ثم النجوم / (١٧) واللحون والطب والهندسة وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الأوتار والوقع والنفخ في أصناف المزامير . ويأمرون بتعليم أبناء الرعية الفلاحة والتجارة والبنيان والصياغة والخياطة والسرد والصبغ وأنواع الحياكة ، نعم حتى علموا البلابل وأصناف الطير الألحان وناساً يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكية والببغاء والسقا[12] وغراب البين . ويعلمون الابل والخيل والبغال والحمير والفيلة أصناف المشي وأجناس الخطو ، ويعلمون الشواهين والصقور والبوازين والفهود والكلاب وعناق[13] الأرض الصيد ، ويعلمون الدواب اللحن والبخاتي الجمز[14] حتى يروضوا الهملاج[15] والعناق بالتخليع وغير التخليع وبالموضوع والأوسط والمرفوع .

ووجدنا للأشياء كلها معلمين ، وانما قيل للانسان العالم الصغير سليل العالم الكبير لأنّ في الانسان من جميع طبائع الحيوان أشكالاً من ختل الذئب وروغان الثعلب ووثوب الأسد وحقد البعير وهداية القطاة . وهذا كثير وهذا بابه ولأنه يحكى كل صوت بفيه ويصور كلّ صورة بيده ثم فضله الله تعالى بالمنطق والروية[16] وامكان التصرف ، وعلى أنّا لا نعلم أنّ لأحد من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف كفضيلة المعلم من الناس الأحداث فهي من[17] المنطق المنثور ككلام الاحتجاج والصفات والمناقلات من المسائل والجوابات في جميع العلامات بين الموزون من القصائد والأرجاز من المزدوج والأسجاع[18] مع الكتاب والحساب وما شاكل ذلك ووافقه واتصل به وذهب مذهبه .

---

(١٠) ك : المعلمين .

(١١) كذا بالأصل . وفي ك : الشيطاب ، ولم اقف عليهما في المعجمات . ولعلها : الشَّبُّور ، وهو البوق كما اللسان (شبر) . وفي المعرب ٢٥٧ : شيء ينفخ فيه ، وليس بعربي صحيح .

(١٢) كذا بالاصل . وفي ك : السمل . اقول : لعلها السَّخْل جمع سخلة : ولد الشاة من المعز والضأن .

(١٣) العناق : من دواب الأرض كالفهد يصطاد به إذا علّم .

(١٤) ضرب من السير . وفي ك : الهمز .

(١٥) من البراذين ومشيها الهملجة .

(١٦) ك : الرؤية .

(١٧) (فهي من) ساقط من ك .

(١٨) ك : الأسماع .

وقالوا انما اشتق اسم المعلم من العلم واسم المؤدب من الأدب • وقد علمنا أن العلم هو الأصل والأدب هو الفرع • والأدب إمّا خلق وإمّا روايةوقد أطلقوا له اسم المؤدب على العموم • والعلمُ أصل" لكل خير وبه ينفصل الكرم من اللؤموالحلال من الحرام والفضل من الموازنة بين أفضل الخيرين والمقابلة بين أنقص الشرين ، فلم يعرضوالأحد من هذه الأصناف التي اتخذ الناس لها المعلمين من جميع أنواع الحق والباطل والسرفوالاقتصاد والجد والهزل إلّا هؤلاء الذين لا يُعلّمون إلا الكتابَ والحسابَ والشعر / (٧ب) والنحو والفرائض والعروض وما في السماء[١٩] من نجوم الاهتداء والأنواء والسعودوأسماء الأيام والشهور والمناقلات ، ويمنعهم الغرامة ، ويأخذهم بالصلاة في الجماعة ، ويدرسهمالقرآن ، ويمرن[٢٠] السنتهم برواية القصيد والأرجاز ، ويعاقب على التهاون ، ويضرب علىالفرار ، ويأخذهم بالمناقلة ، والمناقلة أسباب المنافسة لحقه[٢١] بخلاف هذه السيرة وبضد هذهالمعاملة •

فصل

وقد ذهب قوم الى أنَ الأدب حرف[٢٢]وطلبه شؤم وأنشد قول الشاعر[٢٣] :

ما ازددتُ في أدبي حرفاً أُسرُّ به ... إلّا تزيدتُ حرفاً تحته شومُ
إنّ المقدّمَ في حذقٍ بصنعته ... أنّى توجّه فيها فهو محرومُ

ولم نرَ شاعراً نال بشعره الرغائب ولا أديباًبلغ بأدبه المراتب ذكر يمن الأدب ولا بركة قول الشعر فإنّما حُرِم الواحد منهم والرجل الشاذذكر حرف[٢٤] الأدب وشؤم الشعر وإن كان عدد من نال الرغائب أكثر من عدد من أخفق • ومهماعيرنا من كان في هذه الصنعة فأنا غير عايرين لأبي يعقوب الخريمي[٢٥] لأنه نال بالشعر وأدركبالأدب وليس الذي يحمل الناس على هذا القول إلّا وجدان المعاني والألفاظ فانّهم يكرهون أنْيضيّعوا باباً من اظهار الظرف وفضل البيان[٢٦] وهم عليه قادرون •

فصل

وقد قالوا الصبي عن الصبي أفهم وبهأشكل • وكذلك الغافل والغافل والأحمق والأحمق والغبي والغبي والمرأة والمرأة ، قال اللهتبارك وتعالى : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه

(١٩) ك : بالسماء .
(٢٠) ك : ويهذبون .
(٢١) ك : لحقير .
(٢٢) ك : خرق .
(٢٣) الخليل بن احمد في شعره : ٢٧ . وقيل الخريمي ، ديوانه ٧٨ .
(٢٤) ك : خرق .
(٢٥) في الاصل الخزيمي ، وهو تصحيف . وهو اسحاق بن حسان ، روى الجاحظ شعره. ت ٢١٤هـ . (الشعر والشعراء ٨٥٣ ، زهرالآداب ١٠٧١ ، تاريخ بغداد ٦/٣٢٦).
(٢٦) ك : الشان .

رجلاً »[٢٧] لأنّ الناس عن الناس أفهم واليهم أسكن . فمما أعان الله تعالى به الصبيان أن قرّب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول العالمين. وسمع الحجّاج[٢٨] وهو يسير كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال : مجنونة أو ترقص صبياً . ألا ترى أنّ أبلغ الناس لساناً وأجودهم بياناً وأدقهم فطنة وأبعدهم روية لو ناطق طفلاً أو ناغى صبياً لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان والشبه لمخارج كلامهم وكان لا يجد بدّاً من أنْ ينصرف عن كل ما فضّله الله به من المعرفة[٢٩] الشريفة والألفاظ الكريمة . وكذلك تكون مشاكلة[٣٠] بين المتفقين في الصناعات .

فصل في رياضة الصبي

وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلّا بقدر مايؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر إنْ أنشده وشيء إنْ وصفه ومازاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أردّ عليه منه من رواية المثل الشاهد[٣١] والخبر الصادق والتعبير البارع . وانما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج الى تعرف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبر ولمصالح العباد والبلاد والعلم بالأركان[٣٢] والقطب الذي تدور عليه الرحى . ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه . وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر اليه شيء فمن الرأي أن يصمد[٣٣] به في حساب العقد دون حساب الهند ودون الهندسة وعويص ما يدخل في المساحة ، وعليك في ذلك بما يحتاج اليه كفاة السلطان وكتاب الدواوين .

وأنا أقول إنّ البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والترقي[٣٤] فيه والسبب اليه أردّ عليه من البلوغ في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين لأنّ في أدنى طبقات الخط مع صحة الهجاء بلاغاً ، وليس كذلك حال الحساب . ثم خذه[٣٥] بتعريف حجج الكتاب وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ الى المعنى الغامض ، وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية ، وحذره التكلف واستكراه العبارة فانّ أكرم ذلك كله ما كان افهاماً للسامع ولا يحوج الى التأويل والتعقب ويكون مقصوراً على معناه لا مُقَصِّراً[٣٦] عنه ولا فاضلاً عليه . فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المنعقد مغرقاً[٣٧] في الاكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد أن يتسق[٣٨] له القول . ومازال المعنى محجوباً لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعدُ مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغواً وظرفاً خالياً . وشرّ البلغاء

---

(٢٧) الأنعام ٩ .

(٢٨) الحجاج بن يوسف الثقفي ، ت ٩٥ هـ . (مروج الذهب ٣/١٢٥-١٥٦ ، وفيات الاعيان ٢/٢٩-٥٤ ، تهذيب التهذيب ٢/٢١٠) .

(٢٩) ك : بالمعرفة .

(٣٠) ك : المشاكلة .

(٣١) ك : والشاهد .

(٣٢) ك : وبالاركان .

(٣٣) ك : يعتمد به .

(٣٤) ك : والتوقي .

(٣٥) ك : خذ .

(٣٦) ك : مقصراً به عنه .

(٣٧) ك : مفرقاً .

(٣٨) ك : يتبين .

مَنْ هيّأ رسم المعنى قبل أن يهيىء المعنى عشقاًلذلك اللفظ وشغفاً بذلك الأسم حتى صار يجرُّ اليه المعنى جرّاً ويلزقه به الزاقــاً حتى كأنّ اللهتعالى لم يخلق لذلك المعنى اســماً غيره ومنعــه الافصاح عنه إلّا به •

والآفة الكبرى أن يكون ردىء الطبع بطىء/ (٨ ب) اللفظ كليل الحــد شــديد العجب ، ويكون مع ذلك حريصاً على أن يعد في البلغــاءشديد الكلف بانتحال اسم الأدباء[٣٩] ، فإذا كان كذلك خفي عليه فرق ما بــين اجابــة الألفــاظواستكراهه لها •

والجملة[٤٠] انّ لكلّ معنى شريف أو وضيعهزلاً أو جدّاً وحزم أوضاعه ضرب[٤١] من اللفظ هو حقه وحظه ونصيبه الذي لا ينبغي أن يجاوزهأو يقصر دونه • ومَنْ قرأ كتب البلغاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعاني فهو على سبيلصواب ، ومَنْ نظر فيها ليستفيد الألفاظ فهو على سبيل الخطأ ، والخسران هاهنا في وزن الربحهناك ، لأنّ من كانت غايته انتزاع الألفاظ حمله الحرص عليها والاستهتار بها الى أنْ يســتعملهاقبل وقتها ويضعها في غير مكانها ، ولذلك قال بعض(*) الشعراء لصاحبه : أنا أشــعر منك • قالصاحبه : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه • وانما هي رياضةوسياسة[٤٢] والرفيق مصلح والأخرق[٤٣] مفسد ، ولابدّ من مرانٍ[٤٤] وطبيعة مناسبة ، وســماعالألفاظ ضارٌ ونافع"[٤٥] : فالوجه النافع أن يدور في مسامعه ويغيب في قلبه ويخيم في صــدره فإذاطال مكثها تناكحت ثم تلاقحت وكانت نتيجتهــا أكرم نتيجة وثمرتها أطيب ثمرة لأنّها حينئذ تخرجغير مسترقة ولا مختلسة ولا مغتصبة ولا دالّــة على فقر إذْ لم يكن القصــد الى شــيء بعينــهوالاعتماد عليه دون غيره • وبين الشيء إذا عشعش في الصدر ثم باض ثم فرّخ ثم نهض وبــين أنيكون الخاطر مختاراً واللفظ اعتســافاً واغتصاباً فرقٌ بيّنٌ • ومتى اتكل صاحب البلاغة علىالهُوَيْنا والوكال وعلى السرقة والاحتيال لم ينل طائلاً وشقّ عليه النزوع واســتولى عليه الهوانواستهلكه سوء العادة •

والوجه الضــار، أن يتحفّظ[٤٦] ألفاظــاًبأعيانها من كتاب بعينه أو من لفظ رجل ثم يريد أنْ يعد لتلك الألفاظ قسمها من المعــاني فهذا لايكون إلّا بخيلاً فقيراً وحائفاً[٤٧] ســروقاً ولا يكون إلّا مســتكرهاً لألفاظه متكلفــاً لمعانيــهمضطرب التأليف منقطع النظام ، فإذا مرّ كلامه بنقاد الألفاظ وجهابذة المعاني اســتخفوا عقــلهوبهرجوا علمه • ثم اعلم أنّ الاستكراه في كل

(٣٩) ك : الادب .

(٤٠) ك : وبالجملة .

(٤١) بالاصل : ضربا .

(*) هو الراعي النميري كما في نَضْرة الإغريض في نُصْرة القريض ٣٩٨ وفيه : وانت تقول البيت وابن اخيه .

(٤٢) ك : سياحة .

(٤٣) ك : والآخر .

(٤٤) ك : هذان .

(٤٥) بالأصل : ضارة ونافعة . وما اثبتناه مطابق لما في ك .

(٤٦) ك : يحفظ .

(٤٧) من ك . وفي الأصل : خائفا ، وهوتصحيف. والحائف : من الحيف وهو الميل في الحكم والجور .

شيء / (١٩) سمج وحيثما وقع فهو مذموم" وهو في الطرف أسمج وفي البلاغة أقبح . وما أحسن حاله مادامت الألفاظ مسموعة من فمه مسرودة في نفسه ولم تكن مخلدة" في كتبه . وخير الكتب ما إذا[٤٨] أعدت النظر فيه زادك في حسنه وأوقفك على حده[٤٩] .

فصل في ذم اللواط

والذي يدل على أنّ هذه الشهوة معيبة[في][٥٠] نفسها قبيحة انّ الله تعالى لم يعوض في الآخرة بشهوة الولدان من ترك لوجهه في الدنيا شهوة الغلمان كما يسقى في الآخرة الخمر من تركها له في الدنيا ثم مدح خمر الجنة بأقصر الكلام فنظم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال : « لا يصدعون عنها ولا ينزفون »[٥١] كأنّه تبارك وتعالى قال : لا سُكر فيها ولا خمار . وفي اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء انقطاع النسل ، وفي انقطاع النسل بطلان جميع الدين والدنيا وغشيان الرجل الرجل والمرأة المرأة من المنكوس المعكوس ومن المبدل المقلوب لأنّ الله جلّ ذكره إنما خلق الذكر للانثى وجعل بينهما أسباب التحاب وعلائق الشركة وعلل المشاكلة وجعل الذكر طبقاً للانثى وجعل الانثى سكناً للرجل فقلب هؤلاء الأمر وعكسوه واستقبلوا مَنْ اختار الله لهم بالردّ والزهد فيه .

فصل

ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبدالله ابن المقفّع[٥٢] ويكنى أبا عمرو ، وكان يتولى لآل الأهتم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير ، وكان جواداً فارساً جميلاً ، وكان إذا شاء أنْ يقول الشعر قاله ، وكان يتعاطى الكلام ولم يكن يحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً ، وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غرّ المغتر ووثق الواثق ، وإذا أردت أن تعتبر ذلك إن كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بأنْ تنظر في آخر رسالته الهاشمية فانّك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن عند ذلك أنّه لا يحمل عقله على شيء إلّا بعد به فيه ، كالذي اعترى الخليل بن أحمد[٥٣] بعد إحسانه في النحو / (٩ ب) والعروض أنْ ادعى العلم بالكلام وبأوزان الأغاني فخرج من الجهل الى مقدار لا يبلغه أحد إلّا بخذلان الله تعالى فلا حرمنا الله تعالى عصمته ولا ابتلانا بخذلانه .

---

(٤٨) ك : ماذا .
(٤٩) من ك . وفي الأصل : او وقف على حده .
(٥٠) من ك .
(٥١) الواقعة ١٩ .
(٥٢) من الكتاب المشهورين ، ت ١٤٢ هـ . لسان الميزان ٣/٣٦٦ ، الخزانة ٣/٤٥٩) .
(٥٣) الفراهيدي ، مبتكر اول معجم في العربية وواضع علم العروض ، ت ١٧٠ هـ . (ينظر : الخليل بن احمد وعبقري من البصرة وكلاهما للدكتور مهدي المخزومي) .

فصـــل

وهذان الشاعران جاهليـــان بعيـــدان من التوليد وبنجوة من التكلف[٥٤] •

فصـــل

ومن خصال العبادة وإن كانت كلها راجحة فليس فيها شيء أردّ في عاجل ولا أفضل في آجل من حسن الظن بالله تعالى وعزّ ، ثم اعلم أنّ أعقل الناس السلطان ومن احتاج الى معاملته وعلى قدر الحاجة اليه ينفتح له باب الحيلة والاهتداء الى مواضع الحجة وما أقرب فضل الراعي على الرعية من فضل السائس على الدابة ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً كما أنه لولا المسيم لوثب السباع على السوام •

ودعني من تدريس كتب أبي حنيفة[٥٥] ،ودعني من قولهم : اصرفه الى الصيارفة ، فإنّ صناعة الصرف تجمع مع الكتاب والحساب المعرفة بأصناف الأموال ولا تجد بُدّاً من جلّة السلطان، ودعني من قول مَنْ يقول : قـــد كانت قريش تجاراً فإنّ هذا باب لا ينقاس ولا يطرد ، ومَنْ قاس تجار الكرج وباعته وتجار الأهواز والبصرة على تجار قريش فقد أخطأ مواضع القياس وجهل أقدار العلل • قريش قوم لم يزل الله تعالى يقلبهم في الأرحام البريئة من الآفات وينقلهم من الأصلاب السليمة من العاهات ويبقيهم ويربيهم لكل جسيم لكل عظيم • ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه في التجارة لعرف اختلاف الســـبل وتفاوت ما بين الطرق • ولو كانت علتهم في ذلك كعـــلة تجارة الابلة ومحتكري أهل الحيرة لثلمت دقـــة التجارة في أعراضهم[٥٦] ولنهك سخف الربح من مروآتهم ولصغر ذلك من أقدارهم في صـــدور العرب ولوضع من علوهم عند أهل الشـــرف ، وكيف وقد ارتحلت اليهم الشـــعراء كما ارتحلت الى الملوك العظماء فأسنوا لهم العطية ولم يقصروا عن غاية فسقوا الحجيج وأقاموا القـــرى لزوار(بيت)[٥٧] الله تعالى وهم بواد غير ذي زرع ، فلولا أنه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول ومن المجد ما يخرج فيه العيون لما أصلح طبائعهم الشيء الذي يفسد جميع الأمة ، ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقـــدر ما أورث غيرهم من الضيق . ولو كانت / (١١٠) سبلهم عند الملوك إذا وفدوا عليهم أو وردوا بلادهم بالتجارات سبل غيرهم من التجار لما أوجهوهم وقربوهم ولما أقاموا لهم قرى الملوك وحبوهم بكرامة الخواص[٥٨] • وإذا كانت قريش حمساً تنسّك في دينها وتناله في عبادتها وكان مانعاً لهم من الغارات والسباء ومن وطء النساء من جهة المغنم ، ولذلك لم يئـــدوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السباء

(٥٤) ك : التكليف . ولم اعرف هذين الشاعرين لاني لم اقف على الكلام الذي اهمله صاحب هذه الفصول .

(٥٥) النعمان بن ثابت . احد الائمة الاربعة عند اهل السنة ، ت ١٥٠هـ . (تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣-٤٢٣ ، الانتقـاء ١٢٢-١٧١ ، الجواهر المضية ١/٢٦) .

(٥٦) ك : اغراضهم .

(٥٧) يقتضيها السياق .

(٥٨) ك : الخاص .

ولا زوجوا أحداً من العرب حتى يتحمس ويدين بدينهم ، ولذلك لما صاروا الى بناء الكعبة لم يخرجوا في بنائها من أموالهم إلّا مواريث آبائهم ونسائهم خوفاً من أنْ يخالطه شيء من حرام إذ كانت أرباح التجارات مخوفاً عليها ذلك، فلما كانوا بواد غير ذي زرع ويحتاجون الى الأقوات واقامة القرى لم يجدوا بُدّاً من أن يتكلفوا ما يعيشهم ويصلح شأنهم فأخذوا الايلاف ورحلوا الى الملوك بالتجارات • فهذا هو السبب فانظر كم بين علتهم وعلة غيرهم فيسرك بعد هذا أنْ يتحول ابنك في ملاح[٥٩] صالح الذرا ليرى[٦٠] أوفى طباع ابن آدم وفي عقل ابن سامري • فإن زعموا أنّ أصحاب السلطان بعرض مكروه فليعلموا أنّ كلّ مسافر فبعرض[٦١] مكروه • وقد قال بعض الحكماء : (المسافر ومتاعه على قَلَتٍ[٦٢] إلّا مَنْ حفظ الله تعالى) • يعني على هلاك •

وراكب البحر أشدّ خطراً ومشتري طعام الأهواز أشدّ تهوراً ورافع الشراع بعرض هلكة، والمتعرض للملام والمعرّض نفسه للسباع أقل شفقة • وسكان الجزائر والسواحل أحقّ بالتعرض وأولى بالخوف ، والمنهوم بالطعام الردىء والمدمن للشراب أشبه بأصحاب التغرير ، والمتباري في ذلك والمتزيد منه أحقّ بتوقع الحدثان وحوادث الأزمان قد جرت عليه عادة الدهر وسيرة الأيام • وهذا كله أحق بالاهتمام وإن كنت الى الاشفاق تذهب والى اعطاء الحزم أكثر من نصيبه وكيف دار الأمر فإنّ التاجر قد استشعر الذل وتغشى ثوب المذلة •

وصاحب السلطان قد تجاوز حدّ العزّ والهيبة وإنّما عيبه شكر السلطان وافراط التعظيم قد استبطن بالعزّ وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته وبعدت بصيرته حتى عرف مصلحةَ كلّ مضرٍ واصلاحَ كلّ فاسدٍ واقامةَ كلّ معوجٍ وعمارةَ كل خربٍ • ولا أعلم في الأرض أعم افلاساً ولا أشد نكبة ولا أكثر تحولاً من يسر الى عسر ولا رأينا / (١٠ ب) الحوائج الى أحد أهدى منها الى أموال الصيارفة فكيف يقاس شأن قوم تعمهم المعاطب بشأن قوم أهلُ السلامةِ فيهم أكثرُ والنكباتُ فيهم أقل •

وبعد هذا فإني أرى أنْ لا تستكرهه فتبغض اليه الأدب ولا تهمله فيعتاد اللهو • على أني لا أعلم في جميع الأرض شيئاً أجلب لجميع الفساد من قرناء السوء والفراغ الفاضل عن الجهاد في دراسة العلم ممن كان فارغاً من أشغال الرجال ومطالب ذوي الهمم • واحتل في أن تكون أحبّ اليه من أمه ولا تستطيع أن يمحضك المِقة ويصفي لك المودة مع كراهته لما تحمل اليه من ثقل

---

(٥٩) ك : ملاخ . وهو تصحيف .
(٦٠) من ك . وهي غير واضحة في الأصل .
(٦١) ك : بعرض .
(٦٢) ك : قلة . وهو تحريف . والقول في النهاية في غريب الحديث ٣/٩٨ . وقال الرازي في مختار الصحاح (قلت) : « ولا أعرف أحداً من ائمة اللغة يرويه حديثاً كما يرويه بعض الفقهاء في كتبهم » . والرواية في كليهما : إلّا من وقى الله . وفي النهاية : وماله بدل ومتاعه .

التأديب عند من [لم][٦٣] يبلغ حال العارف بفضل ، فاستخرج مكنون محبته ببر اللسان وبذل المال ولهذا مقدار مَنْ حازه[٦٤] أفرط والافراط سَرَف ومَنْ قصّر عنه فرّط والمفرّط مضياع ولا تستكثرن هذا كله فإنّ بعض النعمة فيه تأتي على أضعاف النعامة والذي تحاول من اصلاح أمر من تؤمّل فيه أنْ يقوم في أهلك مقامك وفي[٦٥] اصلاح ما خلّفت كقيامك لحقيق بالحيطة عليه وباعطائه المجهود من نفسك ، وقال زكريا عليه السلام : « ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين »[٦٦] ، فعلم الله تبارك وتعالى فوهب له غلاماً ، وقال الله جلّ وعزّ : « وليس الذكر كالانثى »[٦٧] .

اعلم أنه اعطاك ولداً غيرة عين العدو وقرّة عين الصديق الولي فاحمد[٦٨] الله واخلص له في الدعاء وأكثر من الخير إن شاء الله [تعالى][٦٩] .

(٦٣) من ك .
(٦٤) في الأصل : جازه . وهو تصحيف .
(٦٥) ساقطة من ك .
(٦٦) الانبياء ٨٩ .
(٦٧) آل عمران ٣٦ .
(٦٨) من ك . وفي الأصل : فاحبه .
(٦٩) من ك .

(٣)

فصل من صدر كتابه في طبقات المغنين

ثم انّا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة المحيطين بالأمور معرفة ذكروا أن أصول الآداب التي منها يتفرع العلم لذوي الألباب أربعة : فمنها النجوم وبروجها وحسابها التي[١] يعرف بها[٢] الأوقات والأزمنة وعليها مزاج الطبائع وأيام السنة ، ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما أشبه ذلك . ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الأبدان وعلاج الأسقام وما يتشعب من ذلك . ومنها اللحون ومعرفة أجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها ووزنها حتى يستوي على الايقاع ويدخل في الوتر وغير ذلك مما اقتصرنا من ذكره على أسمائه وجمله اجتناباً للتطويل / (٢٥ ب) وتوخياً للاختصار ، وقصدنا للأمر الذي اليه انتهينا وإيّاه أردنا والله الموفق وهو المستعان .

ولم يزل أهل كل علم فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجه ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله خلا الغناء فانهم لم يكونوا عرفوا علله وأسبابه ووزنه وتصاريفه ، وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون[٣] من الفارسية والفلهندية[٤] الى أن نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه ومخارج ألفاظه وميز ماقالت العرب منه وجمعه وألفه ووضع فيه الكتاب الذي سمّاه العروض ، وذلك أنّه عرض جميع ما روى من الشعر وما كان به عالماً على الأصول التي رسمها والعلل التي بيّنها فلم يجد أحداً من العرب خرج منها ولا قصر دونها ، فلمّا أحكم [ذلك] وبلغ منه ما بلغ أخذ في تفسير النغم واللحون فاستدرك منه شيئاً ورسم له رسماً احتذى عليه مَنْ خلفه واستتمه[٥] من عُني به . وكان اسحاق بن ابراهيم الموصلي[٦] أول من

---

(١) من س . وفي الأصل : الذي .

(٢) ك : به .

(٣) في الأصل : يسمعوا . والصواب من ك ، س .

(٤) ك : الهندية .

(٥) ك : واستمد .

(٦) من اشهر ندماء الخلفاء ، كان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ ، ت ٢٣٥هـ . (الأغاني ٥/٢٦٨–٤٣٥ ، تاريخ بغداد ٦/٣٣٨ ، إنباه الرواة ١/٢١٥) .

حذا حذوه وامتثل هديه واجتمعت له في ذلك آلات لم تجتمع[٧] للخليل بن أحمد قبله ، منها : معرفته بالغناء وكثرة استماعه إيّاه وعلمه بحسنه من قبيحه وصحيحه من سقيمه . ومنها حذقه بالضرب[٨] والايقاع وعلمه بوزنها . وألّف في ذلك كتباً معجبة وسهل له فيها ما كان مستصعباً على غيره فصنع الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى أصل مستحكم ، له دلائل واضحة وشواهد عادلة . ولم نرَ أحداً وجد سبيلاً الى الطعن عليه والعيب له . وصنع كثير من أهل زمانه أغاني كثيرة بهاجس طبعهم والاتباع لمن سبقهم ، فبعض أصاب وجهل صوابه ، وبعض أخطأ[٩] ، وبعض قصّر في بعض وأحسن في بعض . ووجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم ويطارحون به فتيان زمانهم وجواري عصرهم . وكان يكون في كل وقت من الأوقات قوم يتنادمون ويستحسنون الغناء ويميزون رديه من جيده وصوابه من خطئه ، ويجمعون الى ذلك محاسن كثيرة في آدابهم وأخلاقهم ورواثهم وهيآتهم ، فلم نرَ هذه الطبقة ذكروا ، ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقياً ، وخصصنا في أيامنا وزماننا/ (١٢٦) بفتية أشراف وخلّان نطاف[١٠] انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب المروءة ما كان محجوباً عن غيرهم معدوماً في[١١] سواهم ، فحملني الكلف بهم والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته والفضل في معرفته على تمييز طبقة طبقة[١٢] منهم ، وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا اليها أنفسهم واحتملهم اخوانهم عليها ، وخلطنا جداً بهزل ومزجنا تعريفاً بتعريض ، ولم نرد بأحد ممن سمينا سوءاً ولا تعمدنا قبيحاً[١٣] ولا تجاوزنا حداً ، ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوماً وحابينا آخرين ، ولم نفعل ذلك تجنباً[١٤] للحيف وقصداً للإنصاف وقد نعلم أنّ كثيراً منهم سيبالغ في الذمّ ويحتفل[١٥] في الشتم ويذهب في ذلك غير مذهبنا ، وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم ، والله حسيب من ظلم ، عليه نتوكل وبه نستعين وهو ربّ العرش العظيم .

ولم نقصد في وصف مَنْ وصفنا من الطبقات التي صنّفنا منهم إلّا لمن أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام أو مَنْ[١٦] خرج عنها ونزع الى الفتوة بعد التوبة والى أخلاق الحداثة بعد الحنكة ، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين ، فرحم الله امرأً حسَّنَ في ذلك أمرنا وحذا فيه حذونا ولم يعجل الى ذمنا ودعا بالمغفرة والرحمة لنا . وقد تركنا في كلّ باب من الأبواب التي صنفنا[١٧] في كتابنا فرجاً لزيادة إنْ زادت أو لاحقة إنْ لحقت أو نابتة إن نبتت ومَن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته الى ما هو أعلى منه أو يعجز به القصور عمّا هو عليه منها الى ما هو

(٧) س : لم يجتمع للخليل بن احمد مثلها .
(٨) س : بالعزف .
(٩) (وبعض اخطأ) ساقط من س .
(١٠) س ، ك : نظاف .
(١١) س ، ك : من سواهم .
(١٢) ساقطة من س .
(١٣) ك : نقداً . س : فاضحاً .
(١٤) ك : تحبباً .
(١٥) ك : يحتمل .
(١٦) س : دون من .
(١٧) ك : صنفناه .

دونها ، الى مكانه[١٨] الذي اليه نقله ارتفاع درجةأو انحطاطها ومَنْ لعلّنا نصير الى ذكره ممن عزب عنّا ذكره وأنسينا اسمه ولم يحط علمنا بـهفنصيّره في موضعه ونلحقه بأصحابه .

وليس لأحد أنْ يثبت شيئاً من هذه الأصناف إلّا بعلمنا[١٩] ولا يستبدّ بأمرٍ فيه دوننا ويورد ذلك علينا فيمتحنه ويعرّفه بما عنده ويصير الى ترتيبه في المرتبة التي يستحقها والطبقة التي يحتملها .

فلمّا استتبّ لنا الفراغ مما أردنا / (٢٦ ب)من ذلك خطر ببالنا كثرة العيّابين من الجهال بربّ العالمين فلم نأمن أنْ يسرعوا بسفه[٢٠] رأيهموخفة أحلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه وإزالته عن أماكنه التي عليها رسمناوأنْ يقولَ كل امرىءٍ منهم في ذلك على حاله وبقدر هواه ورأيه وموافقته ومخالفته والميل فيذلك الى بعض والذم لطبقة والحمد لأخرى فيهجنوا بذلك[٢١] كتابنا ويلحقوا بنا ما ليس منشأننا وأحببنا أنْ نأخذ في ذلك بالحزم وأن نحتاط فيه لأنفسنا ومَنْ ضمّه كتابنا ونبادر الىتفريق نسخة منها وتصييرها في أيدي الثقات والمستبصرين [الذين][٢٢] كانوا في هذا الشأنثم ختموا ذلك بالعزلة والتوبة منه كصالح بن أبي صالح وكأحمد بن سلام وصالح مولى رشيدةففعلنا ذلك وصيّرناه أمانة في أعناقهم ونسخة باقية في أيديهم ووثقنا بهم أمناء ومستودعينوحفظة غير مضيعين ولا متهمين وعلمنا أنّهم لا يدعون صيانة ما استودعوا وحفظ ما عليهائتمنوا . فإن[٢٣] شيب به شوب يخالفه وأضيف اليه ما لا يلائمه رجعنا[٢٤] الى النسخة المنصوبةوالاصول المخلدة عند ذوي الأمانة والثقة واقتصرنا عليها واستعلينا بها على المبطلين ورفعنا بها أدغالالمدغلين وتحريف المحرفين وتزيد المتزيدين إنْ شاءَ الله ولا قوة إلّا بالله العظيم .

---

(١٨) س : فينقل الى مكانه .
(١٩) ك : بعلمتها .
(٢٠) ك : بسفيه .
(٢١) ساقطة من س ، ك .
(٢٢) من س ، ك .
(٢٣) ك : إذا .
(٢٤) من س . وفي الأصل و ك : وجعلنا .

(٤)

فصل من صدر كتابه في النبل والتنبل وذم الكبر

قد قرأتُ كتابك وفهمته وتتبعت كلَّ مافيه واستقصيته فوجدت الذي ترجع اليه بعد التطويل وتقف عنده بعد التحصيل قد سلف القول منا في عيبه وشاع الخبر عنا في ذمه وفي النصب لأهله والمباينة لأصحابه وفي التعجب منهم واظهار النفي عنهم •

والجملة ان فرط العجب إذا قارن كثرة الجهل ، والتعرض للعيب إذا وافق قلة الاكتراث ، بطلت المزاجر ، وماتت الخواطر • ومتى تفاقم الداء وتفاوت العلاج صار الوعيد لغواً مطروحاً والعتاب حكماً مستعملاً • وقد أصبح شيخك وليس يملك من عقابهم إلا التعريف ، ولو ملكناهم ملك السلطان وقهرناهم قهر الولاة لنهطناهم[1] عقوبة بالضرب ولقمعناهم بالحصر •

والكِبْرُ ـ أعزك الله ـ باب لا يعد احتماله سلماً ، ولا الصبر على أهله حزماً ولا ترك عقابهم عفواً ولا الفضل عليهم مجداً ولا التغافل عنهم كرماً ولا الامساك عن ذمهم صمتاً •

واعلم أنّ حمل الغنى أشد من حمل الفقر ، واحتمال الفقر أهون من احتمال الذل ، على أنّ الرضا بالفقر قناعة وعزّ واحتمال الذل نذالة وسخف • ولئن كانوا قد أفرطوا في لوم العشيرة والتكبر على ذوي الحرمة لقد أفرطتَ في سوء الاختيار وفي طول مقامك على العار •

وأنت مع شدة عجبك بنفسك ورضاك عن عقلك خالطتَ مَنْ موته / (١٠٤ ب) يضحك السن وحياته تورث الحزن ، وتشاغلك به من أعظم الغبن •

وشكوتَ تنبلهم عليك واستصغارهم لك وأنك أكثر منهم في المحصول وفي حقائق المعقول ، ولو كنتَ كما تقول لما أقمتَ على الذل ولماتجرعت الصبر ، وأنت بمندوحة منهم وبنجوة عنهم ولعارضتهم من الكبر بما يهضهم[2] ومن الامتعاض بما يبهرهم •

وقلتَ : ولو كانوا من أهل النبل عند الموازنة أو كان معهم ما يغلط الناس فيه عند المقايسة لعذرتهم وأصممت عنهم ولسترت عيبهم ولرقعت وهيهم ولكنّ أمرهم مكشوف وظاهرهم معروف •

---

(١) نهطه بالرمح نهطاً : طعنه به .   (٢) هضه يهضه هضاً : كسره ودقّه .

وإن كان أمرهم كما قلتَ وشأنهم كما وصفتَ فذاك ألوم لك وأثبت للحجة عليك وسأؤخر عذلك الى الفراغ منهم وتوقيفك بعد التنويه بهم •

أقول : وإن كان النبل بالتنبل واستحقاق المعظم بالتعظم وبقلة الندم والاعتذار وبالتهاون بالاقرار ، وكل مَنْ كان أقل حياءً وأتم قِحَةً وأشدّ تصلفاً وأضعف عدة أحقّ بالنبل وأولى[3] بالعذر • وليس الذي يوجب لك الرفعة أن تكون عند نفسك دون أن يراك الناس رفيعاً وتكون في الحقيقة وضيعاً • ومتى كنت من أهل النبل لم يضرك التبذل ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التنبل ، وليس النبل كالرزق يكون مرزوقاً من الحرمان وأليق به ، ولا يكون نبيلاً مَنِ السخافة أشبه به ، وكل شيء من أمر الدنيا قد يحظى به غير أهله كما يحظى به أهله • وما ظنك بشيء المروءة خصلة من خصاله ، وبعد التهمة خلة من خلاله ، وبهاء المنظر سبب من أسبابه ، وجزالة اللفظ شعبة من شعبه ، والمقامات الكريمة طريق من طرقه •

فصل منه

واعلم أنك متى لم تأخذ للنبل أهبته ولم تقم له أداته وتأته من وجهه وتقم بحقه كنت مع العناء مبغضاً ومع التكلف مستصلفاً ومَنْ تبغض فقد استهدف للأشتام وتصدر للملام ، فإن كان لا يحفل بالشتم ولا يجزع من الذم فعده ميتاً إن كان حياً وكلباً إن كان انساناً ، وإن كان ممن يكترث ويجزع ويحس ويألم فقد خسر الراحة والمحبة وربح النصب والمذمة •

وبعد فالنبل كَلِف بالمولي عنه شَنِف"[4] للمقبل عليه / (١٠٥ ا) لازق بمن رفضه شديد النفار ممن طلبه •

فصل منه

والسيد المطاع لم يسهل عليه الكظم ولم يكن له كنف الحلم إلّا بعد طول تجرع للغيظ ومقاساة للصبر ، وقد كان مُعَنَّى القلب دهره ومكدر النفس عمره والحرب سجال بينه وبين الحلم ودول بينه وبين الكظم • فلما انقادت له العشيرة وسمحت له بالطاعة ووفق بظهور القدرة وخلاف حكم المعجزة سهل عليه الصبر وغمر بعلوه دواعي الجزع وبطلت المجاذبة وذهبت المساجلة • والذي كان دعاه الى تكلف الحلم في بدء أمره والى احتمال المكروه في أول شأنه الأمل في الرئاسة والطمع في السيادة ثم لم يتم له أمره ولم يستحكم له عنده إلّا بعد ثلاثة أشياء : الاحتمال ثم الاعتبار ثم ظهور طاعة الرجال •

ولولا خوف جميع المظلومين من أن يظن بهم العجز وأن لا يوجه احتمالهم الى الذل لزاحم السادة في الحلم رجال ليسوا في أنفسهم بدونهم ولغمرهم بعض من ليس معه من أسبابهم •

---

(٣) في الأصل : اول . والصواب ما اثبتنا .

(٤) الشنف ، بكسر النون : المبغض .

فصــل منــه

ولا يكون المرء نبيلاً حتى يكون نبيــل الرأي نبيل اللفظ نبيل العقل نبيل الخلق نبيــل المنظر بعيد المذهب في التنزه طاهــر الثــوب من الفحش • إنْ وافق ذلك عرقاً صالحاً ومجداً تالداً فالخارجيّ قد يتنبل بنفسه والنابتي قد يخــرج بطبعه • ولكل عزّ أول وأول كل قديم حادث • ومن حقوق النبل أن تتواضع[٥] لمن هو دونك وتنصف مَنْ هم مثلك وتتنبل على مَنْ هــو فوقك •

فصــل منــه

وكان بعض الاشــراف في زمان الأحنف[٦] لا يتحقر أحداً ولا يتحرك لزائر وكان يقول :

ثهلانُ ذو الهضباتِ ما يَتَحَلْحَلُ[٧]

فكان الأحنف ما يزداد إلّا عــلواً ، وكان ذلك الرجل لا يزداد إلّا تسفلاً •

وقد ذم الله تعــالى المتكبرين[٨] ، ولعــن المتجبرين[٩] ، واجتمعت الأمة على عيبه والبراءة منه ، وحتى سمي المتكبر تائهاً كالذي يختبط في التيه بلا إمارة ويتعسف الأرض بلا علامة • ولعلّ قائلاً أن يقول : لو كان اسم المتكبر قبيحاً ولو كان المتجبر مذموماً لما وصف الله تعالى بهما نفسه ولما نوه بهما في التنزيل حين قال : « العزيز الجبار المتــكبر »[١٠] ثــم قــال : « ولــه الأســماء الحسنى »[١١] • / (١٠٥ ب) قلنــا لهم : إن الانسان المخلوق المسخر والضعيف الميسر لا يليق به إلّا التذلل ولا يجوز له إلّا التواضع • وكيف يليق الكبر بمن إن جاع صرع وإن شــبع طغى ؟ وما يشبه الكبر بمن يأكل ويشرب ويبول وينجو • وكيف يستحق الكبر ويســتوجب العظمــة مَنْ ينقضه النصب وتفسده الراحة ؟ فإذا كان الكبر لا يليق بالمخلوق فإنما يليق بالخالق ، وانما عاند الله تعالى[١٢] بالكبر لتعديه طوره ولجهله قــدره وانتحاله ما لا يجوز إلّا لربّهِ • وقال النبي صلى الله عليه : (العظمةُ رداءُ اللهِ فمَنْ نازَعَــهُ رداءَهُ قَصَمَهُ)[*] •

(٥) في الأصل : يتواضع .

(٦) الاحنف بن قيس ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم ، ت ٧٢هـ . (ذكر اخبار اصبهان ٢٢٤/١ ، وفيات الأعيان ٤٩٩/٢ ، تهذيب التهذيب ١٩١/١) .

(٧) عجز بيت للفرزدق في ديوانه ٧١٧ وصدره : فادفع بكفك إنْ اردتَ بناءَنا .. وثهلان اسم جبل ضرب به المثل : اثقل من ثهلان. (الدرة الفاخرة ١٠٣) .

(٨) في سورة النحل ٢٩ والزمر ٦٠ ، ٧٢ وغافر ٢٧ ، ٣٥ ، ٧٦ ...

(٩) في سورة هود ٥٩ وابراهيم ١٥ وغافر ٣٥

(١٠) الحشر ٢٣ .

(١١) طه ٨ .

(١٢) من هنا جاءت في هامش الكامل ١٨٤/٢ على انها من رسالة (الرد على النصارى) .

(*) الحديث في سنن ابن ماجه ١٣٩٧ وروايته : (قال رسول الله (ص) : يقول الله سبحانه : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري . من نازعني واحداً منهمــا القيتــه فــي جهنــم) . وينظر ايضاً : المسند لابن حنبل ٣٧٦/٢ وسنن ابي داود ٣٥٠/٤ .

فصل منه

والنبيل لا يتنبل كما أن الفصيح لا يتفصح لأن النبيل يكفيه نبله عن التنبل والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصح ، ولم يتزيد أحد قط إلا لنقص يجده في نفسه ولا تطاول متطاول إلا لوهن قد أحس به في[١٣] قوته .

والكبر من جميع الناس قبيح ومن كل العباد[١٤] مسخوط إلا أنه عند الناس من عظماء الأعراب وأشباه الاعراب أجود وهو لهم أسرع لجفائهم وبعدهم من الجماعة وقلة[١٥] مخالطتهم لأهل العفة والدعة والأدب والصنعة[١٦] .

فصل منه

ولم نر الكبر يسوغ عندهم ويستحسن إلا في ثلاثة مواضع : من ذلك أن يكون المتكبر صعباً بدوياً وذا عرضنة[١٧] وحشياً ولا يكون حضرياً ولا مدرياً فيحمل ذلك منه على جهة الصعوبة ومذهب الجاهلية وعلى العنجهية[١٨] والأعرابية أو يكون ذلك على جهة الانتقام والمعارضة والمكافأة والمقابلة أو على أن لا يكون تكبره إلا على الملوك والجبابرة والفراعنة وأشباه الفراعنة . وصاحبك هذا خارج من هذه الخصال مجانب لهذه الخلال إن أصاب صديقاً تعظم عليه وإن أتاه ضيف تحافض له[١٩] وإن أتاه ضعيف من عليه وإن صادف حليماً اعتمر به[٢٠] . وينبغي أن يكون خضوعه لمن رفعه على حسب تكبره على من دونه . ومن صفة اللئيم أن يظلم الضعيف ويظلم نفسه للقوي ويقتل الصريع ويجهز على الجريح ويطلب الهارب ويهرب من الطالب ولا يطلب من الطوائل إلا ما لا خطر فيه ولا يتكبر إلا حيث لا يرجع مضرته[٢١] عليه ولا يقفو التقية ولا المروءة ، ولا يعمل على حقيقة ، ومن اختار أن[٢٢] يسعى عنده ، ومن أراد أن يسمع قوله ساء خلقه إذ كان لا يحفل ببغض الناس له ووحشة قلوبهم منه واحتمالهم[٢٣] في مباعدته / (١٠٦ ا) وقلة ملابسته[٢٤] . وليس يأمن اللئيم على اتيان جميع ما اشتمل عليه اسم اللؤم إلا حاسد ، فإذا رأيته يعق أباه ويحسد أخاه ويظلم الضعيف ويستخف بالأديب فلا تبعده من الخيانة إذ كانت الخيانة لؤماً ، ولا من الكذب إذ كان الكذب لؤماً ، ولا من النميمة إذ كانت النميمة لؤماً . ولا تأمنه من الكفر[٢٥] فأنه ألأم اللؤم وأقبح الغدر . ومن رأيته منصرفاً عن بعض اللؤم وتاركاً لبعض القبيح فإياك أن توجه ذلك منه على التجنب له والرغبة عنه والإيثار لخلافه ولكن على

---

(١٣) (في) ساقطة من ك .
(١٤) (ومن كل العباد) ساقط من ك .
(١٥) ك : لقلة .
(١٦) ك : الضعة .
(١٧) ك : غطرسة . والعرضنة : الاعتراض في السير من النشاط .
(١٨) ك : الهمجية .
(١٩) ك : تغافل عنه .
(٢٠) ك : اعتمل به .
(٢١) ك : معرته .
(٢٢) (ومن اختار ان) ساقط من ك .
(٢٣) ك : احتيالهم .
(٢٤) ك : مساعدته .
(٢٥) ك : على الكفر .

أنّه لا يشتهيه أو لا يقدر عليه أو يخاف من مرارةالعاقبة أمراً يعفّي على حلاوة العاجل ؛ لأن اللؤم كله أصل واحد وإن تفرقت فروعه وجنس واحدوإن اختلفت صوره ، والفعل محمول على غلبته تابع لسمته والشكل ذاهب على شكله منقطع الىأصله صائر اليه وإنْ أبطأ عنه ونازع اليه وإن حيل دونه . وكذلك تناسب الكرم وحنين بعضهالى بعض[٢٦] ولم تر العيون ولا سمعت الآذان ولا توهمت العقول عملاً اجتباه ذو عقل أو اختارهذو علم بأوبأ مغبة ولا أنكد عاقبة ولا أوخم مرعى ولا أبعد مهوى ولا أصر على دين[٢٧] ولا أفسدلعرض ولا أوجب لسخط الله ولا ادعى الى مقت الناس ولا أبعد من الفلاح ولا أظهر نفوراً عنالتوبة ولا أقل دركاً عند الحقيقة ولا أنقص للطبيعة ولا أمنع من العلم ولا أشدّ خلافاً على الحلم منالتكبر في غير موضعه والتنبل في غير كنهه .

وما ظنك بشيء العجب شقيقه والبذخ صديقهوالنفج[٢٨] أليفه والصلف عقيده ؟ والبذاخ متزيد والنفاج كذاب والمتكبر ظالم والمعجب صغيرالنفس . وإذا اجتمعت هذه الخلال وانتظمت هذه الخصال في قلب طال خرابه واستغلق بابه . وشرالعيوب ما كان مضمناً بعيوب وشر الذنوب ما كان علة لذنوب[٢٩] . والكبر أول ذنب كان فيالسموات والأرض وأعظم جرم كان من الجن والانس وأشهر تعصب كان في الثقلين وعنه لجابليس في الطغيان وعتا على ربّ العالمين وخطّأ ربه بالتدبير وتلقّى قوله بالرد ومن أجله استوجبالسخطة واخرج من الجنة وقيل له : ما يكون لك أن تتكبر فيها . ولإفراطه في التعظيم خرج الىغاية القسوة ولشدة قسوته اعتزم على الاصرار وتتابع في غاية الافساد ودعا الى كل قبيح وزيّنكل شر ، وعن معصيته أخرج آدم من الجنة وشهر في كل أفق وأمة ومن أجله نصبت العداوة لذريتهوتفرغ من كل شيء إلا من اهلاك نسله فعادى من لا يرجوه ولا يخافه ولا يضاره[٣٠] في نسبولا يشاكله في صناعة ، ومن ذلك قتل الناس / (١٠٦ ب) بعضهم بعضاً وظلم القوي الضعيف،ومن أجله أهلك الله الامم بالمسخ والرجف وبالخسف وبالطوفان والريح[٣١] العقيم وأدخلهمالنار وأقنطهم من الخروج .

والكبر هو الذي زين لابليس ترك السجودوأوهمه شر الألفة وصوّر له الامتعاض وحبّب اليه المخالفة وآنسه بالوحدة والوحشة وهوّنعليه سخط الرب وسهّل عليه عقاب الأبد ووعده الظفر ومنّاه السلامة ولقّنه الاحتجاج بالباطلوزيّن له قول الزور وزهده في جوار الملائكة وجمع له خلالَ السوء ونظم له خلالَ الشر لأنّهحسدٌ والحسدُ ظلمٌ وكذبٌ والكذبُ ذلٌّ وخدعٌ والخديعةُ لؤمٌ وحلف على الزور وذلكفجورٌ وخطّأ ربه وتخطئة الله جهل وأخطأ في جلي القياس وذلك غيٌّ ولجٌّ واللجاجُ ضعف . وفرقبين التكبر والتبدي[٣٢] وجمع بين الرغبة عن

(٢٦) من ك . وفي الاصل : ببعض .
(٢٧) (مغبة ... دين) ساقط من ك .
(٢٨) يقال : رجل نفّاج إذا كان صاحب فخر وكبر .
(٢٩) ك : الذنوب .
(٣٠) ك : يضاهيه .
(٣١) ك : وبالريح .
(٣٢) من ك . وفي الاصل : التبدل ، وتبدّى الرجل اقام بالبادية .

صنيع الملائكة وبين الدخول في أعمال السفلة واحتج بأنّ النار خير من الطين ومنافع العالم نتائج أربعة أركان : نار يابسة حارة وماء باردسيّال وأرض باردة يابسة وهواء[٣٣] حار رطب ليس منها شيء مع مزاوجته لخلافه إلّا وهو محيي مبق على أن النار نقمة الله من بين جميع الأصناف وهي أسرعهن اتلافاً لما صار فيها ، وأمحقهن لما دنا منها • هذا كله ثمرة الكبر ونتاج التيه • والتكبر شرٌ من القسوة كما أنّ القسوة شرُّ المعاصي ،والتواضع خير الرحمة كما أنّ الرحمة خير الطاعات • والكبر معنى ينتظم[٣٤] جماع الشر ،والتواضع عقيب الكبر والرحمة عقيب القسوة • فإذا كان للطاعة قدر من الثواب فلتركها وعقيبها ولما يوازيها ويكايلها مثل ذلك القدر من العقاب • ومواضع الطاعة من طبقات الرضا كموضع[٣٦] تركها من طبقات السخط إذ كانت الطاعة واجبة والترك معصية •

والكِبْر من أسباب القسوة • ولو كان الكبر لا يعتري إلا الشريف أو الجميل أو الجواد أو الوفي أو الصدوق كان أهون لأمره وأقل لشينه ، أو كان يعرض لأهل الخير وكان لا يغلط فيه إلّا أهل الفضل ولكنّا نجده في السفلة كما نجده في العلية ، ونجده في القبيح كما نجده في الحسن ، وفي الذميم كما نجده في الجميل ، وفي الدنيء الناقص كما نجده في الوفي الكامل ، وفي الجبان كما نجده في الشجاع ، وفي الكذوب كما نجده في الصدوق ، وفي العبد كما نجده في الحر ، وفي الذميّ ذي الجزية والصغار والذلة كما نجده في قابض جزيته والمسلط على اذلاله •

ولو كان في الكبر خير لما كان في دهر الجاهلية أظهر منه في دهر الاسلام ، ولما كان في أهل البدو أكثر منه في أهل الحضر[٣٧] ، ولما كان في العبد/ (١٠٧ ا) أفشى منه في الحر[٣٨] ، ولما كان في السند أعم منه في الروم والفرس ، وليس الذي كان فيه عن آل ساسان وأنوشروان وجميع ولد أزدشير بن بابك من الكبر في شيء • تلك سياسة للعوام وتفخيم لأمر السلطان وتسديد للملك •

ولم يكن في الخلفاء أشد نخوة من الوليد بن عبدالملك[٣٩] ، وكان أجهلهم وألحنهم • وما كان في ولاة العراق أعظم كبراً من يوسف بن عمر[٤٠] وما كان أشجعهم ولا أبصرهم ولا أتمهم قواماً ولا أحسنهم كلاماً • ولم يدع الربوبية ملك قط إلّا فرعون ، ولم يك مقدماً في مركبه[٤١] ولا في شرف حسبه ولا في نبل منظره وكمال خلقه ولا في سعة سلطانه وشرف رعيته وكرم ناحيته ، ولا كان

---

(٣٣) ك : هوى •

(٣٤) ك ينتظم به •

(٣٥) ك : ينتظم فيه •

(٣٦) ك : لموضع •

(٣٧) (ولما كان ... الحضر) ساقط من ك •

(٣٨) من ك • وفي الاصل : المدر •

(٣٩) من خلفاء بني أمية ، ت ٩٦ هـ • (الاخبار الطوال ٣٢٦ ، الكامل لابن الاثير ١٢/٥ ، تاريخ الخلفاء ٢٢٣) •

(٤٠) أمير من جبابرة الولاة في العهد الأموي ، سلك سبيل الحجاج في الشدة والعنف ، ت ١٢٧هـ • (وفيات الأعيان ١٠١/٧ـ ١١٢ ، تاريخ الاسلام ١٩١/٥ ، مرآة الجنان ٢٦٧/١) •

(٤١) ك : موكبه •

فوق الملوك الأعاظم والجلة الأكابر بل دون كثيرمنهم في الحسب وشرف الملك وكرم الرعية ومنعة السلطان والسطوة على الملوك •

ولو كان الكبر فضيلة والتيه مروءة[٤٢] لمارغب عنه بنو هاشـم ، ولكان عبدالمطلب أولى الناس منه بالغاية وأحقهم بأقصى النهاية •

ولو كان محمود العاجل أو مرجـو الآجلوكان من أسباب السادة أو من حقوق الرئاسـة لبدر اليه سيد بني تميم وهو الأحنف بن قيس ،ولشـح عليه سـيد بكر بن وائل وهو مـلك ، ولاستولى عليه سيد الأزد وهو المهلب[٤٣] •

ولقد ذكر أبو عمرو بن العلاء[٤٤] جميـععيوب السادة وما كان فيهم من الخلال المذمومة حيث قال : ما رأينا شيئاً يمنع من السـؤدد إلاوقد وجدناه في سيد : وجدنا البخـل يمنع من السؤدد وكان أبو سفيان بن حرب[٤٥] بخيلاً ،والعهار يمنع من السؤدد وكان عامر بن الطفيل[٤٦] سيداً وكان عاهراً ، والظلم يمنع من السؤدد وكانحذيفة بن بدر[٤٧] ظلومـاً وكان سـيد غطفان ، والحمق يمنع من السؤدد وكان عيينة بن حصن[٤٨]محمّقاً وكان سيداً ، والاملاق يمنع من السؤدد وكان عتبة بن ربيعة[٤٩] مملقاً ، وقلة العدد يمنعمن السؤدد وكان شبل بن معبد[٥٠] سـيداً ولم يكن من عشيرته بالبصرة رجلان ، والحداثة تمنعمن السؤدد وساد أبو جهل[٥١] وما طر شـاربه ودخل دار الندوة واستوت لحيته •

فذكر الظلم والحمـق والبخـل والفقـروالعهار[٥٢] ، وذكر العيوب ولم يذكر الكبر لأنّ هذه الاخلاق وإن كانت داء فـإنّ في فصـولأحلامهم وفي سائر أمورهم ما يداوى به ذلك الداء ويعالج به ذلك السقم ، وليس الداء الممكن كالداءالمعضل ، وليس الباب المغلق كالمستبهم ، والأخلاق التي يمكن معها السـؤدد مثل الكبر والكذبوالسخف ومثل الجهل بالسياسة • وخرجت خارجة

(٤٢) ك : وفي التيه رقة .

(٤٣) المهلب بن ابي صفرة . ت ٨٣هـ . (المحبر ٢٦١ . وفيات الأعيان ٥/٣٥٠ ، سـرح العيون ١٩٤) .

(٤٤) احد القراء السبعة ، عالم باللغة والأدب ، ت ١٥٤هـ . (اخبار النحويين ٢٢ ، طبقات النحويين ٣٥ ، نور القبس ٢٥) .

(٤٥) صخر بن حرب ، ت ٣١ هـ . (نسـب قريش ١٢١ ، المحبر ٢٤٦ ، نكت الهميان ١٧٢) .

(٤٦) احد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية ، ت ١١ هـ . (الشعر والشعراء ٣٣٤ ، الاغاني ١٥/٥٠ ، معجم الشعراء ٢٢٢) .

(٤٧) جاهلي . (ثمار القلوب ١٤١ ، سـرح العيون ١٥٥) .

(٤٨) كان اسمه حذيفة فلقب عيينة لانـه كان اصابته شجة فجحظت عينـاه ، عاش الى خلافة عثمان . (اسـد الغابـة ٤/١٦٦ ، الاصابة ٤/٧٦٧) .

(٤٩) قُتل مشركاً سنة ٢ هـ . (نسب قريش ١٥٢ ، المنمق ٤٧ ، الروض الانف ١/١٢١)

(٥٠) صحابي (الاصابة ٣/٣٧٧) .

(٥١) هو عمرو بن هشام ، كان اشـد الناس عداوة للرسول ، قتل في معركة بدر سنة ٢هـ . (المحبر ١٦١ ، عيون الاخبار ١/٢٣٠، امتاع الاسماع ١/١٨) .

(٥٢) ك : العهر .

بخراسان فقيل لقتيبة بن مسلم[٥٣] : لو وجهت اليهم وكيع بن أبي سود[٥٤] كفاهم فقال : / (١٠٧ ب) وكيع رجل عظيم الكبر في أنفه خنْزُوانة[٥٥] وفي رأسه نعرة وانما أنفه[٥٦] في اسلوب ، ومَنْ عظُم كبره اشتد عجبه ، ومَنْ اعجب برأيه لم يشاور كفياً ولم يؤامر نصيحاً ، ومَنْ تبجح بالانفراد وفخر بالاستبداد كان من الظفر بعيداً ومن الخذلان قريباً ، والخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة وإن[٥٧] كانت الجماعة لا تخطىء والفرقة لا تصيب . ومَنْ تكبّر على عدوه حقره ، وإذا حقره تهاون بأمره ، ومَنْ تهاون بخصمه ووثق بفضل قوته قلّ احتراسه ، ومَنْ قلّ احتراسه كثر عثاره . وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب إلّا كان منكوباً ومهزوماً ومخدوعاً ولا يشعر[٥٨] حتى يكون عدوه عنده وخصمه فيما يغلب عليه أسمع من فرس[٥٩] وأبصر من عقاب[٦٠] وأهدى من قطاة[٦١] وأحذر من عقعق[٦٢] وأشد اقداماً من الأسد[٦٣] وأوثب من فهد[٦٤] وأحقد من جمل[٦٥] وأروغ من ثعلب[٦٦] وأغدر من ذئب[٦٧] وأسخى من لافظة[٦٨] وأشح من صبي[٦٩] وأجمع من ذرة[٧٠] وأحرس من كلب[٧١] وأصبر من ضب[٧٢] ، فإنّ النفس إنما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطلب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب .

فصل منه

وأقول بعد هذا كله إنّ الناس قد ظلموا أهل الحلم والعزم حين زعموا أنّ الذي يسهل عليهم الاحتمال معرفة الناس بقدرتهم على الانتقام فكيف والمذكور بالحلم والمشهور بالاحتمال يقيض له من السفهاء ويؤتى له من أهل البذاء ما لا يقوم له صبر ولا ينهض به عزم بل على قدر حلمه[٧٣] يتعرض له[٧٤] وعلى قدر عزمه[٧٥] يمتحن صبره[٧٦] ، ولأنّ الذي سهّل عليه الحكم ومكّنه من العزم معرفة الناس بقدرته على الانتقام واقتداره على شفاء الغيظ فانّ منعه لنفسه ومجاذبته لطبعه مع الغيظ الشديد والقدرة الظاهرة أشدّ عليه في المزاولة وأبلغ في المشقة

---

(٥٣) أمير فاتح ، ت ٩٦هـ . (وفيات الاعيان ٨٦/٤ ، سرح العيون ١٨٦ ، الخزانة ٦٥٧/٣) .
(٥٤) وكيع بن حسان ، قاتل قتيبة بن مسلم ، (المعارف ٤١٥ ، عيون الاخبار ٤٨/٢) .
(٥٥) الخنزوانة : التكبر .
(٥٦) ك : انف .
(٥٧) من ك . وفي الاصل : وإذا .
(٥٨) من ك . وهي بياض بالاصل .
(٥٩) الدرة الفاخرة ٢٢٦ .
(٦٠) المصدر نفسه ٧٧ .
(٦١) المصدر نفسه ٤٢٩ .
(٦٢) المصدر نفسه ١٣٣ .
(٦٣) المصدر نفسه ٤٣٨ .
(٦٤) المصدر نفسه ٤١٥ .
(٦٥) المصدر نفسه ١٣٤ .
(٦٦) المصدر نفسه ٤٤١ .
(٦٧) المصدر نفسه ٣٢١ .
(٦٨) المصدر نفسه ٢١٨ . وفي ك : لاقطة . وهو تصحيف .
(٦٩) المصدر نفسه ٢٣٦ .
(٧٠) المصدر نفسه ١٢١ .
(٧١) المصدر نفسه ١٣٤ .
(٧٢) المصدر نفسه ٢٦٣ .
(٧٣ ــ ٧٦) من ك . وفي الاصل : حلمهم ، لهم ، عزمهم ، صبرهم .

والمكابدة من صبر الشكل على أذى شكله واحتمال المظلوم عن مثله وإن خاف الطمس وتوقع العيب .

فصل منه

ومن بعد هذا فمن شأن الأيام أن يظلم المرء أكثر محاسنه ما كان تابعاً فإذا عاد متبوعاً عادت عليه من محاسن غيره بأضعاف ما منعته من محاسن نفسه حتى تضاف اليه ومن شوارد الأفعال ومن شواذ المكارم إن كان سيداً ومن غريب الأمثال إن كان منطيقاً ومن خيار القصائد إن كان شاعراً مما لا امارات لها ولا سمات عليها فكم من يد بيضاء وصنيعة غراء ضلّت فلم يقم بها ناشد وخفيت / (١٠٨ ا) فلم يظهرها شاكر ، والذي ضاع للتابع قبل أن يكون متبوعاً أكثر مما حُفظ والذي نُسي[٧٧] أكثر مما ذُكِر . وما ظنك بشيء يقينه[٧٨] يهب السيادة ومشكوره يهب الرئاسة على قلة الشكر وكثرة الكفر .

وقد يكون الرجل تام النفس ناقص الأداة فلا يستبان فضله ولا يعظم قدره كالمفرج[٧٩] الذي لا عشيرة له والأتاوي[٨٠] الذي لا قوم له، وقد يعظم المفرج الذي لا ولاء له ولا عقد جوار ولا عهد حلف إذا برع في الفقه وبلغ في الزهد بأكثر من تعظيم السيد كجهة تعظيم الديّان . كما أنّ طاعة السلطان غير طاعة السادة ، والسلطان إنما يملك أبدان الناس ولهم الخيار في عقولهم وكذلك الموالي والعبيد . وطاعة الناس للسيد وطاعة الديّان طاعة محبة ودنيوية والقلوب أطوع لهما من الأبدان إلّا أنْ يكون السلطان مرضياً ، فإنْ كان كذلك فهو أعظم خطراً من السيد وأوجه عند الله من ذلك الديّان .

وربما ساد الأتاوي لأنه عربي على حال والمفرج لا يسود أبداً لأنه عجمي لا حلف له ولا عقد جوار ولا ولاء معروف ولا نسب ثابت . وليس التسويد إلّا في العرب ، والعجم لا تطيع إلّا للملوك ، والذي أحوج العرب في الجاهلية الى تسويد الرجال وطاعة الأكابر بُعد دورهم من الملوك والحكام والقضاة وأصحاب الأرباع والمسالح والعمال فكان السيد في منعهم من غيرهم ومنع غيرهم منهم ووثوب بعضهم على بعض في كثير من معاني السلطان .

---

(٧٧) ك : كتم .

(٧٨) ك : مذكوره .

(٧٩) المفرج (بضم الميم وسكون الفاء وفتح الراء) : الذي لا عشيرة له . وقيل : الذي لا مال له . وروى الاصمعي : المفرح بالحاء المهملة . (ينظر اللسان : فرج) .

(٨٠) الاتاوي ، بفتح الهمزة : الغريب في غير وطنه .

(٥)

فصل من صدر رسالته في تفضيل النطق على الصمت

أمتع الله بك ، وأبقى نعمه عندك ، وجعلك ممن إذا عرف الحقّ انقاد له ، وإذا رأى / (١١٤ ب) الباطل أنكره وتزحزح عنه .

قد قرأت كتابك فيما وصفت من فضيلة الصمت وشرحت من مناقب السكوت ، ولخصت من وضوح أسبابهما ، وأحمدت[١] من منفعة عاقبتهما ، وجريت في مجرى فنون الأقاويل فيهما ، وذكرت أنّك وجدت الصمت أفضل من الكلام في مواطن كثيرة وإنْ كان صواباً ، وألفيت السكوت أحمد من المنطق في مواضع جمّة وإن كان حقّاً ، وزعمت أنّ اللسان من مسالك الخنا الجالب على صاحبه البلاء ، وقلتَ : إنّ حفظ اللسان أمثل من التورط في الكلام ، وسميتَ العيي عاقلاً والصامت حليماً والساكت لبيباً والمطرق مفكراً ، وسميت البليغ مكثاراً والخطيب مهذاراً والفصيح مفرطاً والمنطيق مطنباً ، وقلتَ : إنك لم تندم على الصمت قطّ وإن كان منك عيا ، وانّك ندمتَ على الكلام مراراً وإن كان منك صواباً ، واحتجاجك في ذلك بقول كسرى أنو شروان واعتصامك فيها بما سار من أقاويل الشعراء والمتسق من كلام الأدباء وافراطهم في مذمة الكلام واطنابهم في محمدة السكوت ، وأتيتَ ـ حفظك الله ـ على جميع ما ذكرتَ من ذلك ووصفتَ ولخصتَ وشرحتَ واطنبتَ فيها وفرطت بالفهم وتصفحتها بالعلم وبحثتَ بالحزم ووعيت بالعزم فوجدتها كلام امرىء قد اعجب برأيه وارتطم في هواه وظنّ أنّه قد نسخ فيها كلاماً وألف ألفاظاً ونسخ له معاني على نحو مأخذه ومقصده أنْ لا يلقى[٢] له ناقضاً في دهره بعد أنْ أبرمها ولا يجد فيها منادياً في عصره بعد أنْ أحكمها وانّ حجته قد لزمت جميع الأنام ودحضت حجة قاطبة أهل الأديان لما شرح فيها من البرهان وأوضح بالبيان[٣] وحتى كان القول من القائل نقضاً[٤] ورفع الوصف من الواصف تغلباً ، وكان في موضع لا ينازعه فيه أحد وقلّما يجد مَنْ يخاصمه ولا يلقى أبداً من يناضله وصار فلجاً بحجته أوحدياً في لهجته إذ كان محله محل الوحدة والانس بالخلوة ، وكان مثله في ذلك [مثل][٥] مَنْ تخلص الى الحاكم وحده ففلج[٦] بحجته .

(١) س : حمدت .
(٢) ك : يلفي .
(٣) ك : من البيان .
(٤) ك : نقصاً .
(٥) من ك ، س .
(٦) من س . وفي الاصل : فلج . والفلج : الظفر والفوز ، وفي المثل : من يأت الحكم وحده يفلج .

وإني سأوضح لك ذلك ببرهان قاطع وبيان ساطع وأشرح فيه من الحجج ما يظهر ومن الحقّ ما يقهر بقدر ما أتت عليه معرفتي وبلغتــه قوتي وملكته طاقتي بما لا يستطيع أحد ردّه ولا يمكنه انكاره وجحده ولا قوة إلّا بالله وبه استعين وعليه أتوكل واليه أنيب •

إني[٧] وجدت فضيلة الكلام باهرة ومنقبة المنطق ظاهرة / (١١٥ ا) في خلال كثيرة وخصال معروفة . منها : إنّك لا تؤدي شكر الله ولا تقدر على اظهاره إلّا بالكلام • ومنها : إنّك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والإبانــة عن مآربــك إلّا باللسان ، وهذان في العاجل والآجل مع أشــياء كثيرة لو ينحوها الانســان لوجدهــا في المعقول موجودة وفي المحصول معلومــة وعند الحقائق مشتهرة وفي التدبير ظاهرة • ولم أجد للصــمت فضلاً على الكلام مما يحتمله القياس لأنّك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت[٨] •ولو كان الصمت أفضل والسكوت أمثل لما عُرف للآدميين فضل على غيرهم ولا فرق بينهم وبين شيء من أنواع الحيوان وأخياف[٩] الخلق في أصناف جواهرها واختلاف طبائعهــا وافتراق حالاتهــا وأجناس أبدانها في أعيانها وألوانها بل لم يكــن يميز بينهم وبين الاعنام المنصوبة والأوثان المنحوتة وكان لكل قائم وقاعد ومتحرك وساكن ومنصوب وثابت في شرع سواء ومنزلة واحدة وقسمة مشاكلة إذ كانوا في معنى الصمت بالجثة واحداً وفي معنى الكلام بالمنطق متبايناً ، ولذلك صارت الأشــياء مختلفة في المعاني مؤتلفة الأشــكال إذ كانت في أشكال خلقتها متفقة بتركيب أجوادها وتأليــف أجزائها وكمال أبدانها ، وفي معنى الكلام متباينة عند مفهوم نغماتها ومنظوم ألفاظها وبيان معالمهــا وعدل شواهدها ، مع أني لم أنكر فضيلة الصمت ولم اهجن ذكره إلّا انّ فضله خاص دون عــام وفضل الكلام خاص وعام وإنّ الاثنين إذا اشتمل عليهما فضل كان حظهما أكثر ونصيبهما أوفر من الواحد ، ولعله يكون بكلمة واحدة نجاة خــلق وخلاص أمة • ومن أكثر ما يذكر للســاكت من الفضل ويوصف له من المنقبة أنْ يقال[١٠] يسكت ليتوقى به عن الإثم وذلك فضل خاص دون عام •ومن أقل ما يحتكم عليه أن يقــال غبي أو جاهل فيكون في ذلك لازم ذنب على التوهم به فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما ورّط فيه صاحبه من الوزر • والذي ذكر من تفضيل الكلام ما ينطق به القرآن وجاءت فيه الروايــات عن الثقــات في الأحاديث المنقولات والأقاصيص المرويات والسمر والحكايات وما تكلمت به الخطباء ونطقت بــه البلغاء أكثر من أن يبلغ آخرها ويدرك أولها ولكن قد ذكرت من ذلك على قدر الكفاية ومن الله التوفيق والهدايــة •

ولم نرَ الصمت / (١١٥ ب) ــ أسعدك الله ــ أحمد في موضع إلّا وكان الكلام فيه أحمد لتسارع الناس الى تفضيل الكلام لظهور علتــه ووضوح جليته ومغبة نفعه • وقد ذكر الله جلّ وعزّ في قصة ابراهيم عليه الســلام حين كســر الأصنام وجعلها جذاذاً فقال حكاية عنهم : « قالوا

(٧) ك : وإني .
(٨) ك : به . و (بالصمت) ساقطة من س .
(٩) يقال : الناس اخياف اي مختلفون . وفي ك : اصناف .
(١٠) ساقطة من ك .

أ أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون »[١١] .
فكان كلامه سبباً لنجاته وعلّة لخلاصه ، وكان كلامه عند ذلك أحمد من صمت غيره في مثل ذلك الموضع لأنّه عليه السلام لو سكت عند سؤالهم إيّاه لم يكن سكوته إلّا على بصر وعلم وإنما تكلّم لأنّه رأى الكلام أفضل وأنّ مَنْ تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن .

واعلم ــ حفظك الله ــ أنّ الكلام سبب لإيجاب الفضل وهداية الى معرفة أهل الطول . ولولا الكلام لم يكن يعرف الفاضل من المفضول[١٢] في معان كثيرة لقول الله عزّ وجلّ في بيان يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر لما[١٣] كلّمه فقال : « إنّك اليوم لدينا مكين أمين »[١٤] ، فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام والإفصاح بالبيان مع محاسنه المونقة وأخلاقه الطاهرة وطبائعه الشريفة لما عرف العزيز فضله ولا بلغ تلك المنزلة لديه ولا حلّ ذلك المحلّ منه ولا صار عنده بموضع الأمانة ولكان في عداد[١٥] غيره ومنزلة سواه عند العزيز ولكنّ الله جعل كلامه سبباً لرفع منزلته وعلو مرتبته وعلّة لمعرفة فضيلته ووسيلة لتفضيل العزيز إيّاه .

ولم أرَ للصمتِ فضيلةً في معنى ولا للسكوتِ منقبةً في شيء إلاّ وفضيلةُ الكلام فيها أكثرُ ونصيبُ المنطق عندها أوفرُ واللفظُ بها أشهرُ . وكفى بالكلام فضلاً وبالمنطق منقبة أنْ جعل الله الكلام سبيل تهليله وتحميده والدالّ على معالم دينه وشرائع إيمانه والدليل الى رضوانه . ولم يرض من أحد من خلقه إيماناً إلّا بالاقرار وجعل مسلكه اللسان ومجراه فيه البيان وصيّره المعبّر عما يضمره[١٦] والمبين عما يخبره والمنبىء عما [لا] يستطيع بيانه إلّا به[١٧] . وهو ترجمان القلب والقلب وعاء واعٍ[١٨] .

ولم يحمد الصمت من أحد إلّا توقياً لعجزه عن ادراك الحق والصواب في إصابة المعنى . وإنما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم المشركين عند جهلهم الله تعالى / (١١٦ ا) وانكارهم إيّاه ليقروا به فإذا فعلوه حقنت دماؤهم وحرمت أموالهم ورعيت ذمتهم . ولو أنهم سكتوا ضناً بدينهم لم يكن سبيلهم إلّا العطب .

فاعلم أنّ الكلام من أسباب الخير لا من الشر[١٩] ، والكلامُ ــ ابقاك الله ــ سبيل التمييز بين الناس والبهائم وسبب المعرفة لفضل الآدميين على سائر الحيوان ، قال الله عزّ وجلّ : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر »[٢٠] ، كرمهم باللسان وحملهم بالتدبر . ولو لم يكن

(١١) الأنبياء ٦٣ .
(١٢) س : الفضول .
(١٣) من ك . وفي الاصل و س : ما .
(١٤) يوسف ٥٤ .
(١٥) س : عدا وغيره .
(١٦) من س . وفي الاصل : عنك ما يضمره .
(١٧) (إلّا به) ساقط من ك .
(١٨) س : وواع .
(١٩) س : اسباب الشر .
(٢٠) الاسراء ٧٠ .

الكلام لما استوجب أحد النعمة ولا أقام على أداءما وجب عليهم من الشكر سبباً للزيادة وعلّة لامتحان قلوب العباد والشكر بالاظهار في القول والإبانة باللسان ، ولا يعرف الشكر إلّا بهما ، والله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم »[٢١] ،فجعل الشكر علة لوجوب الزيادة عند اظهاره بالقول ، والحمد مفتاحاً للنعمة . وقد جاء في بعض الآثار : (لو أنّ رجلاً ذكر الله تعالى وآخر يسمع له ، كان المعدود للمستمع من الأجر والمذكور له من الثواب واحداً وللمتكلم به عشرة أو أكثر) . فهل ترى — أبقاك الله — أنّه وجب لصاحب العشرة ذلك وفضل به على صاحبه إلّا عند استعماله بالنطق به لسانه . ولم يلزم الصمت أحداً إلّا على حسب وقوع الجهل عليه . فأمّا إذا كان الرجل نبيهاً مميزاً عالماً مفوهاً فالصمت مهجن لعلمه وساتر لفضله كالقداحة لم يستبن نفعها دون تزنيدها ، ولذلك قيل : من جهل علماً عاداه .

فصل منه

ولم أجد الصامت مستعاناً به في شيء من المعاني ولا مذكوراً في المحافل . ولم يذكر الخطباء ولا قدمتهم الوفود عند الخلفاء إلّا لما عرفوه من فضل لسانهم وفضيلة بيانهم . وإنّ أصح ما يوجد في المعقول وأوضح ما يعد فضائلها المذكورة وأيامها المشهورة ، ولفضل الفصاحة وحسن البيان بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب وجعل لسانه عربيّاً وأنزل عليه قرآنه عربياً كما قال الله جلّ وعزّ : « بلسان عربي مبين »[٢٢] ،فلم يخص اللسان بالبيان[٢٣] ولم يحمد بالبرهان إلّا عند وجود الفضل في الكلام وحسن العبارة عند النطق وحلاوة اللفظ عند السمع .

واعلم أنّ الله تعالى لم يرسل رسولاً ولابعث نبياً إلّا مَنْ كان فضله في كلامه وبيانه كفضله على المبعوث اليه ، فكان النبي صلى الله عليه / (١١٦ ب) أفصح العرب لساناً وأحسنهم بياناً وأسهلهم مخارج للكلام وأكثرهم فوائد من المعاني لأنّه كان من جماهير العرب ، مولده في بني هاشم ، وأخواله من بني زهرة ، ورضاعه في بني سعد بن بكر ، ومنشؤه في قريش ، ومتزوجه في بني أسد بن عبدالعزى ، ومهاجرته الى بني عمرو وهم الأوس والخزرج من الأنصار . وقد قال النبي صلى الله عليه : (أنا أفصح العرب بَيْدَ أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر)[٢٤] .

ولو لم يكن مما عددنا من[٢٥] هؤلاء الأحياء إلّا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها وكفاية من سواها ، لأنّ قريشاً أفصح العرب لساناً ، وأفضلها بياناً ، وأحضرها جواباً ، وأحسنها بديهة ، وأجمعها عند الكلام قلباً ، ثم للعرب أيضاً خصال كثيرة ومشاهد كثيرة مما يشاكل هذا الباب وبضارع هذا المثال حذفت ذكرها خوف التطويل فيها .

(٢١) ابراهيم ٧ .
(٢٢) الشعراء ١٩٥ .
(٢٣) س : باللسان .
(٢٤) وروي : ميداني . (ينظر غريب الحديث ١٤٠/١ ، الفائق ١٤١/١) .
(٢٥) (من) ساقطة من س .

فصــل منــه

فهذه كلها دليل على دحض حجتك ونقض قضيتك ، وإنّما أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين الأمم وأمرهم بالابلاغ ليلزمهم الحجة بالكلام لا بالصمت إذْ لا يكون للرسالة بلاغ" ولا للحجة لزوم" ولا للعلّة ظهور" إلّا بالنطق[٢٦].

فصل منها في صفة من يقدر على الإبانة

وليس يقوى على ذلك إلّا امرؤ في طبيعته فضل عن احتمال غيرته ، وفي قريحته زيادة من القوة على صناعته ، ويكون حظه من الاقتدار في المنطق فوق قسطه من التغلب في الكلام حتى لا يضع اللفظ الحرّ النبيل إلّا على مثله من المعنى ولا اللفظ الشريف الفخم إلّا على مثله من المعنى، نعم وحتى يعطي اللفظ حقّه من البيان ، ويوفّر على الحديث قسطه[٢٧] من الصواب ، ويجزل[٢٨] للكلام حظه من المعنى ، ويضع جميعها مواضعها ويصفها بصفتها ويوفر عليها حقوقها من الاعراب والافصاح .

فصــل منــه

وبعدُ فأيّ شيء أشهر منقبة وأرفع درجة وأكمل فضلاً وأظهر نفعاً وأعظم حرمة من شيء لولا مكانه لم يثبت لله ربوبية ولا لنبي حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتجلى في صورة الدليل ثم به يعرف فضل الجماعة من الفرقة،والشبهة من البدعة ، والشذوذ من الاستعاضة .

(١١٧ ا) / والكلام سبب لتعرف حقائق الأديان والقياس واثبات الربوبية وتصديق الرسالة والامتحان للتعديل والتحرير للاضطرار والاختيار .

---

(٢٦) هنا تنتهي نسخة الساسي .

(٢٧) ك : قسماً .

(٢٨) ك : يحرك .

(٦)

فصل من صدر رسالته في مدح التجار وذم عمل السلطان

أدام الله لك السلامة وأسعدك بالنعمة وختم لك بالسعادة وجعلك من الفائزين .

فهمت كتاب صاحبك ووقفت منه على تعدٍ في القول / (١١١٩) وحيفٍ في الحكم ، وسمعت قوله وهو على كل حال تاجر"[١] وطريقه طريقهم وكتبه[٢] تشاكل كتبهم وألفاظه تطابق ألفاظهم . وكذلك حالنا وحال صاحب كتابك فيما يسخطه من أمرنا ، إني لا اعتذر[٣] منه واستنكف من الانتساب اليه بل استحي من الكتابة واستنكف بأن أُنسب اليها ، ومن[٤] البلاغة أنْ أعرف بها في غير موضعها ، ومن السجع أنْ يظهر[٥] مني ومن الصنعة أن تعرف[٦] في كتبي ، ومن العجب بكثير ما يكون مني ، وقديماً كره ذلك أهل المروءة والأنفة وأهل الاختيار للصواب والصدّ عن الخطأ حتى أنّ معاوية[٧] مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتاباً الى رجل فقال فيه : لهو أهون عليّ من ذرّة أو كلب من كلاب الحرة . ثم قال :امح (من كلاب الحرة) واكتب : من الكلاب كأنّه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع . وأرى أنّه ليس في موضعه .

فصل منه

وهذا الكلام لايزال ينجم من حشوة[٨] اتباع السلطان ، فأمّا عليتهم ومصاصهم وذوو البصائر والتمييز منهم ومَنْ فوقته[٩] الفطنة وأرهقه التأديب وأرهفه طول التفكير وجرى فيه الحياء وأحكمته التجارب فعرف العواقب وأحكَم التفصيل ونطق بغوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالهم ويحكمون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون أنهم أودع الناس بدنا[١٠] وأهنأهم عيشاً وآمنهم سرباً لأنّهم في أفنيتهم وكالملوك على أسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات وينزع اليهم ملتمسو البياعات لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا يستعبدهم[١١] الضرع

---

(١) س : وهو على حال حاجر . وفي ك : حائر .
(٢) ك : وكتبهم .
(٣) س : لاعتذر .
(٤) الواو ساقطة من س ، ك .
(٥) ك : ومن السطحي ان تظهر . وفي الاصل و س : السطع . وما اثبته اقرب الى المعنى .
(٦) ك ، س : الضيعة .
(٧) معاوية بن ابي سفيان ، مؤسس الدولة الاموية ، ت ٦٠ هـ . (مروج الذهب ٣/٣ ، الذهب المسبوك ٢٤ ، تاريخ الخلفاء ١٩٤)
(٨) ك : حشوية .
(٩) من ك . وفي الاصل : فيقته .
(١٠) س : ابدا .
(١١) س : تستعبدهم .

لمعاملاتهم ، وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فإنّ اولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب وألفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيير الدول واعتراض حلول المحن • فإنْ هي حلّت بهم ، وكثيراً ماتحل ، فناهيك بهم مرحومين يرق لهم الأعداء فضلاً عن الأولياء فكيف لا يميز بين مَنْ هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين مَنْ قد نال الوفاء عنه / (١١٩ ب) والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الاثراء وقضاء اللذات من غير منّةٍ لأحد ولا منّة يعتدُّ بها ومَنْ هو من نعم المفضلين خليٌّ وبين مَنْ قد استرقه المعروف[١٢] واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر •

فصل منه

وقد علم المسلمون أنّ خيرة الله تعالى من خلقه وصفيه من عباده والمؤتمن على وحيه من أهل بيت التجارة وهي معولهم وعليها معتمدهم وهي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ، ولقد بلغتك بسالتهم ووصفت لك جلادتهم ، ونعتت[١٣] لك أحلامهم ، وتقدر لك سخاؤهم وضيافتهم وبذلهم ومواساتهم ، وبالتجارة كانوا يعرفون ، ولذلك قالت كاهنة اليمن : لله درء الديار لقريش التجار •

وليس قولهم[١٤] : قرشي ، كقولهم : هاشمي وزهري وتيمي ، لأنّه لم يكن لهم أب يسمّى قريشاً فينتسبون اليه ، ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش[١٥] فهو أفخم أسمائهم وأشرف أنسابهم وهو الاسم الذي نوّه الله تعالى به في كتابه وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله فجعله قرآناً عربياً يتلى في المساجد ويكتب في المصاحف ويجهر به في الفرائض وحطوه على الحبيب والخالص ولهم سوق عكاظ وفيهم يقول أبوذؤيب[١٦] :

إذا ضربوا القبابَ على عكاظٍ ... وقامَ البيعُ واجتمعَ الألوفُ

---

(١٢) ك : يعتدى .

(١٣) من س . وفي الاصل : نعيت ، وفي ك : نعت .

(١٤) س : فوقهم .

(١٥) لابد هنا ان اذكر نصاً عزيزاً لابي بكر بن الانباري في كتابه الزاهر ٦٣٧-٦٣٨ : قال : (في قريش اربعة اقوال . قال محمد بن سلام : سميت قريش قريشاً بدابة في البحر عظيمة الشأن تبتلع جميع الدواب فشبهت قريش بها . وقال غيره : سميت قريش قريشاً لأنهم كانوا يتجرون ويأخذون ويعطون ، وقال : هو ماخوذ من قولهم قد قرش الرجل يقرش إذا تَجَرَ واخذ واعطى . وقال آخرون : انما سميت قريش قريشاً بالاقتراش ، وهو وقوع الرماح بعضها على بعض ، قال الشاعر :

ولما دنا الرايات واقترش القنا ... وطار مع القوم القلوب الرواجف

وقال الآخر :

قوارش بالرماح كأنّ فيها ... شواطنَ يُنتزعن بها انتزاعا

ويقال : قريش مأخوذة من التقريش وهو التحريش ، ويروى بيت الحارث بن حلزة :

ايها الناطق المُقرِّشُ عنا ... عند عمرو وهل لذاك بقاءُ) . ا هـ

(١٦) دوان الهذليين ١/٩٨ .

وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم برهةمن دهره تاجراً وشخص فيه مسافراً وباع واشترى حاضراً والله اعلم حيث يضع رسالته ولم يقسم اللهمذهباً رضياً ولا خلقاً زكياً ولا عملاً مرضياً إلّا وحظه منه أوفر الحظوظ وقسمه فيه أجزل الأقسامولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون : « ما لهذا الرسول يأكلُ الطعامَ ويمشي فيالأسواق »[17] ، فأوحى الله اليه : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلّا إنّهم ليأكلونَ الطعامَويمشونَ في الأسواقِ »[18] ، فأخبر أنّ الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات •

فصل منه

وإنّ[19] الذي دعا صاحبك الى ذمّ التجارةتوهمه بقلة تحصيله أنها تنقص من العلم والأدب وتقتطع[20] دونهما وتمنع منهما • فأيّ صنف منالعلم لم تبلغ التجار فيه غاية أو يأخذوا منه بنصيب أو يكونوا رؤساء أهله وعليتهم ؟ هل كان فيالتابعين أعلمُ من سعيد/(١٢٠ ا) بن المسيّب[21] أو أنبلُ ؟ وقد كان تاجراً يبيع ويشتري ، وهوالذي يقول : (ما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليرضوان الله عليهم قضاء إلّا وقد علمته) • وكان أعبر الناس للرؤيا ، وأعلمهم بأنساب قريش ، وهوأحد[22] من كان يفتي أصحاب[23] رسول الله صلى الله عليه وآله وهم متوافرون ، وله بعدُ علمٌبأخبار الجاهلية والاسلام مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته وأمره بالمعروف وجلالته في أعينالخلفاء وتقدمه على الجبارين •

ومحمد بن سيرين في فقهه وورعه وطهارته •ومسلم بن يسار[24] في علمه وعبادته واشتغاله بطاعة ربّه • وأيوب السختياني[25] ويوسف بنعبيد[26] في فضلهما وورعهما •

(17) الفرقان ٧ .
(18) الفرقان ٢٠ .
(19) ك : والذي .
(20) س : وتقطع .
(21) توفي سنة ٩٣ هـ . (طبقات ابن سعد ١١٩/٥ • طبقات ابن خياط ٦١١ ، حلية الاولياء ١٦١/٢) .
(22) (احد) ساقطة من س ، ك .
(23) س : واصحاب .
(24) من رواة الحديث ، ت ١٠٨هـ . (حلية الأولياء ٢٩٠/٢ ، ميزان الاعتدال ١٠٧/٤ ، تهذيب التهذيب ١٤٠/١٠) .
(25) من القراء الحفاظ ، ت ١٣١هـ . (طبقات ابن سعد ٢٤٦/٧ ، طبقات ابن خياط ٥٢٢ ، المعارف ٤٧١) .
(26) كذا في الاصل و س و ك . اقول : لعله يونس بن عبيد البصري احد رواة الحديث، ت ١٣٩هـ . (طبقات ابن خياط ٥٢٥ ، تذكرة الحفاظ ١٣٧/١ ، تهذيب التهذيب ٤٤٢/١١) . وكان هشيم يقول يَونِس ، بفتح الياء وكسر النون (البيان والتبيين ٢٢٠/٢) .

(٧)

فصل من صدر رسالته إلى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفة أصحابه

(٢١ ب) / أنا ـ أبقاك الله ـ الطالب المشغول والقائل المعذور ، فإنْ رأيت خطأ فلا تنكر ، فإني بصدده وبعرض منه ، بل في الحال التي توجبه والسبب الذي يؤدي اليه ، وإنْ سمعت تسديداً فهو النحرير[١] الذي لا تجده[٢] اللهم إلّا أن يكون من بركة مكاتبتك ويمن مطالبتك ، ولأنّ ذكرك / (٢٢ أ) يشحذ الذهن ويصورك في الوهم ويجلو العقل ، وتأميلك ينفي الشغل .

ولا يعجبني ما رأيت من قلّة إطنابك في هذا النبيذ وقلّة تلهيك بهذا الشراب . وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يصاب عند خطيب ولا يوجد عند بليغ . وأنتَ لو مشيتَ الخيلاء وحقرتَ العظماء وأرغبتَ الشعراء وأعطيتَ الخطباء ليكون القولُ منهم موصولاً غير مقطوع ومبسوطاً غير مقصور ، لكنتَ بعدُ مقصراً في أمره مفرطاً في واجب حقه ، فلا تأديب الله قبلتَ ولا قول الناصح سمعتَ . قال[٣] الله تبارك وتعالى : (وأمّا بنعمة ربّك فحدّث)[٤] . وقال الأول : استدم النعمة باظهارها واستزد المواهب بادامة شكرها . بل كيف أنست بالجلساء وأرسلت الى الأطباء ولم يكن في قربك ما يغنيك وفي النظر اليه ما يشفيك . ولِمَ ملكت نفسك دون أنْ تهذي ؟ ولِمَ رأيت الوقار مروءة قبل أنْ تستخف ؟ ولِمَ كان الهذيان به هو الجدّ[٥] ، والسخف هو المروءة ، والتناقض هو الصحة ؟ وإلّا بأيِّ شيء خصصتَ ؟ وبأيِّ معنى أتيتَ ؟ ولِمَ لمْ تخلع فيه العذار ؟ ولِمَ لمْ تخرج فيه عن كل مقدار ؟ وأيّ شيء أجربَ جلدك وأماتَ حالك وأضعفَ[٦] مسرّتك وأوحش[٧] منك رفيقك إلّا العقوبة المحضة وإلّا الغضب والعقاب ، وحرمك الثواب إلّا التهاون في أمره وقلّة الرعاية لحقّه ؟ وكيف صارت أمراضي أمراض الأغنياء وأمراضك أمراض الفقراء إلّا لمعرفتي بفضله واستخفافك بقدره ؟ ألا ترى[٨] أني منقرس مفلوج وأنت أجرب مبثور[٩] ؟ فإنْ تبتَ فما أقرب الفرج وأسرع الإجابة . وسنفرغ لك إنْ

---

(١) ك ، ب : الفريب .
(٢) من ك ، ب . وفي الأصل : لا نجد .
(٣) من ك ، ب . وفي الأصل : سمعت قول الله .
(٤) الضحى ١١ .
(٥) من ب . وفي الأصل و ك : هو الهذيان .
(٦) من ك ، ب . وفي الأصل : ضعّف ، بتشديد العين .
(٧) ب : أو وحش .
(٨) من ك ، ب . وفي الأصل : ترني .
(٩) من ب ، وفي الأصل و ك : مستور .

شاء الله قريباً وتفلح سريعاً . وإنْ أصررت وتتابعت[10] وتماديت أتاك والله من سفلة الأدواء وزوى عنك من علية الأمراض ما يضعك موضعاً لا ارتفاع معه ، ويلزق بعقبك عاراً لا زوال له ، ثم تتبع أشياخك السُبّة[11] وتتبعهم المذمّة .

علِمَ اللهُ أنه استظرفكَ[12] واستملحكَ واستحسنَ قَدَّكَ واسترجح عقلك وأحسن بك ظنّاً ورآك لنفسه أهلاً ولاتخاذه موضعاً وللأُنس به مكاناً ، وأنت لاهٍ عنه / (٢٢ ب) زارٍ عليه متهاون به ، قد أقبلتَ على ديوانك تشتغل بملازمته وتدع ما يجب عليك من صفاته والدعاء الى تعظيمه ، بل هل كنتَ من شيعته والذابّين عن دولته والمعروفين بالإنقطاع اليه والانبتات في حبله إلّا أنْ يكون عندك التقصير لحقّه والتهاون بأمره اللازم ونهي الناس عنه ، ولو خرجت الى هذا لخرجت من جميع الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية . وأحسب أنّك لا تُعظّمه ولا ترقّ له ، ولو لم تتعصب إلّا لجماله وحسنه ، ولو لم تحافظ على نقائه وعتقه لكان ذلك واجباً وأمراً معروفاً ، فكيف مع المناسبة التي بينكما والشكل الذي يجمعكما ؟ فإنْ كان بعضك لا يصون بعضاً وأنت لا تُعظّم شقيقاً فأنت والله من حفظ العشيرة أبعد ولمعرفة الصديق أنكر . ولقد نعيتَ إليّ لُبّكَ وأثكلتني حفاظكَ وأفسدتَ عندي كلّ صحيح ، وقد كان يقال لايزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب ، قال الشاعر[13] :

وهُلْكُ الفتى أنْ لا يَراحَ الى النَدَى ... وأنْ لا يَرى شيئاً عجيباً فيَعْجَبا

وقال بكر بن عبدالله المُزَني[14] : كُنّا نتعجب من دهر لا يتعجب أهله من العجب فقد صرنا في دهر لا يستحسن أهله الحسن ، ومَنْ لم يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح . وقال بعضهم : العجبُ تركُ التعجّبِ من العجب[15] . ولم أقل ذلك إلّا لأنْ تكون به ضنيناً وبما يجب له عارفاً ، ولكنك لم توفر حقّه ولم توفّ[16] نصيبه ، فإنْ قلتَ : ومَنْ يقضي واجب حقّه وينتهض بجميع شكره ؟ قلنا : فهل أعذرت في الاجتهاد حتى لا يُذمّ إلّا تعجبك ؟ وهل استغرقت الأعذار[17] حتى لا تُعاب إلّا بما زاد على قوتك ؟ ولولا أنّك عين الجود[18] لم نطلبه منك ، ولولا ظنّك لم نحمدك عليه ، ولولا معرفتك بفضله لم نعجب من تقصيرك في حقه ، ولولا أنّ الخطأ فيك أقبح والقبيح منك أسمج وهو فيك أبين والناس فيه أكلف والعيون اليه

---

(١٠) من ب . وفي الأصل : تمايعت . وفي ك : تتابعت . وتتابع الرجل : رمى بنفسه في الأمر سريعاً .

(١١) السُبّة بضم السين : العار يُسَبّ به .

(١٢) ب : استطرفك .

(١٣) علي بن الغدير الغنوي ، والبيت من قصيدة تعداد أبياتها تسعة وعشرون بيتاً انفرد بروايتها صاحب منتهى الطلب ٥/ق ١٥٠ ، وجاء البيت في البيان والتبيين ٣/٢٤٢ والبرصان والعرجان ٣٢٢ والفاضل ٦٨ وأمالي القالي ٢/١٨١ والمؤتلف ٢٤٧ . ويراح من الأريحية . وفي الأصل : من النَدى .

(١٤) من رواة الحديث ، ثقة ، ت ١٠٦ هـ (طبقات ابن خياط ٤٩٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ١/١٣٤) .

(١٥) القول في البيان والتبيين ٣/٢٤٢ .

(١٦) ك ، ب : تعرف .

(١٧) ك ، ب : الاعتذار .

(١٨) من ك ، ب . وفي الأصل : الجواد .

أسرعُ لكان كتابنا كتاب مطالبة ، ولم يكن كتاب معاتبة ، ولشغلنا الحلم لك عن الحلم عليك ، والقول لك عن القول فيك ، وقد كنت أهابك بفضل هيبتي لك واجترىء عليك بفضل بسطك لي ، فمنعني حرص الممنوع وخوف المشفق وأمن الواثق وقناعة الراضي .

وبعدُ فمن طلب / (١٢٣ ا) ما لا يُجاد به وسأل ما لا يُوهب مثله ممن يجود بكلّ ثمين ويهب كلّ خطير فواجبٌ أنْ يكون من الردّ مشفقاً وبالنجح موقناً . وإنّ كان ـ أبقاك الله ـ أهلاً لأنْ يمنعَ ، وكنتَ ـ حفظك الله ـ أهلاً أن[١٩] تبذلَ ، وجب أنْ يكون باذلاً مانعاً وساكناً مطمئناً ، إلّا أن يكون الحرب[٢٠] سلماً[٢١] سجالاً والحالات دولاً . ولهذه الخصال ما وقع الطلب وشاع الطمع . فإنْ منعتَ فعذرك مبسوط عند من عرف قدرك[٢٢] ، وإنْ بذلتَ فلم تعدُ الذي أنت أهله عند من عرف قدرك ، إلّا أنّه لا يجود بمثله إلّا غني عند جميع الناس أو عاقل فوق جميع الناس ، وكيف لا أطلب طلبَ الجرىء المتهوّر وأمسك إمساكَ الهائب[٢٣] الموقّر ، وليس في الأرض خلق يفتقر[٢٤] في وصفه المحال غيره ، ولا يستحسن الهذيان سواه . على أنّ من الهذيان ما يكون مفهوماً ، ومن المحال ما يكون مسموعاً ، فمَنْ جهل ذلك ولم يعرفه وقصّر ولم يبلغه فليسمع كلام اللهفان والثكلان والغضبان والغيران ومرقصة الصبيان والمُنْعِظ إذا دنا منه الحلقي حتى إذا استوهبك[٢٥] لم تهب له منه حتى تقف وقفةً وتطرق[٢٦] ساعةً ثم تستحسن وتستشير ثم تشفع[٢٧] على مستوهبه وتعجب من شاربه ، ثم تطيل الكتاب بالامتنان وتسطر فيه بتعظيم الإنعام ، مع ذكر مناقبه ونشر محاسنه بقدر الطاقة ، وإنْ لم تبلغ الغاية فاعرف وزنه وأشهد[٢٨] بطيبه وأرح[٢٩] ساعته واشهر[٣٠] في الناس يومه .

وما ظنّكَ بشيء لا تقدر أنْ تسرف[٣١] في ذكره وتفرط في مدحه ، وتقصيرُك واضحٌ في لونه ، مكتوبٌ[٣٢] في طعمه ، موجودٌ في[٣٣] رائحته ، إذْ كان كل ممدوح يقصر عن مدحه وقدره ويصغر في جنبه ، ولو لم يستدل على سعادة جدّك وإقبال أمرك وأنّ لك زيّ[٣٤] صدقٍ في المعلوم وحظاً في الرزق المقسوم ، وأنك ممن تبقى نعمه ويدوم شكره ويفهم النعمة ويربيها ويذبّ[٣٥] عنها ويستديمها ، إلّا أنّه إنْ وقع في قسمك وكان من نصيبك ، لكان ذلك اعظم

---

(١٩) ب : لأن .
(٢٠) الحرب مؤنثة وقد تذكر (ينظر : المذكر والمؤنث للفراء ٨٤ ، المذكر والمؤنث لابن فارس ٥٧) .
(٢١) ساقطة من ب .
(٢٢) من ك ، ب . وفي الأصل : قدره .
(٢٣) الهائب : الذي يهاب .
(٢٤) ك ، ب : يغتفر .
(٢٥) من ك ، ب . وفي الأصل : وإياك ان تهب لي منه حتى تقف ...
(٢٦) ك ، ب : تطرقه .
(٢٧) ب : تشفق .
(٢٨) ب : أشد .
(٢٩) ب : أرخ .
(٣٠) ب ، ك : وشهد .
(٣١) ك ، ب : تسرد .
(٣٢) ك ، ب : في كونه مكتوباً .
(٣٣) ك ، ب : موجوداً .
(٣٤) من ك ، ب . وفي الأصل : مني .
(٣٥) ك ، ب : يدرأ .

البرهان وأوضح الدلالة ، بل لا نقول إنّه وقع اتفاقاً وغريباً[٣٦] نادراً حتى يكون التوفيق هو الذي قصد به ، والصنع هو الذي دلّ عليه ، ولولم تملك غيره لكنت غنياً ، ولو ملكت كل شيء سواه لكنت فقيراً . وكيف لا يكون كذلك وهومستراحُ / (٢٣ ب) قلبك ، ومجال عقلك ، ومرتع عينك ، وموضع أنسك ، ومستنبط لذّتك ،وينبوع سرورك ، ومصباحك في الظلام ، وشعارك من جميع الأقسام ! وكيف وقد جمع أبهة الجلال ،ورشاقة الخلال ، ووقار البهاء ، وشرف الخير وعزّ المجاهرة[٣٧] ، ولذة الاختلاس ، وحلاوةالزبيب[٣٨] ؟

وسأصف لك شرف النبيذ في نفسه وفضيلتهعلى غيره ، ثم أصف شرابك على سائر الأنبذة ، لأنّ النبيذ إذا تمشّى في عظامك والتبس بأجزائكودبّ الى[٣٩] جنانك منحك صدقَ الحسّ وفراغَ النفسِ ، وجعلك رضِيَّ[٤٠] البالِ خَلِيَّ الذراع[٤١] قليلَ الشواغلِ قريرَ العينِ واسعَ الصدرِ فسيحَ الهمِّ حَسَنَ الظنِّ ، ثمسدَّ عليك أبواب التهم ، وحسن دونك الظن وخواطر الفهم ، وكفاك مؤونة الحراسة وألمالشفقة وخوف الحدثان وذلّ الطمع وكدّ الطلب وكلّ ما اعترض على السرور وأفسد اللذّةوقاسم الشهوة وأخلّ[٤٢] بالنعمة . وهو الذي يرد الشيوخ في طبائع الشبان ويرد الشبان فينشاط الصبيان ، وليس يخاف شاربه إلّا مجاوزة السرور الى الأشر ومجاوزة الأشر الى البطر ، ولولم يكن من أياديه ومننه ومن جميل آلائه ونعمه إلّا أنّك مادمت تمزجه بروحك وتزاوج بينه وبيندمك فقد أعفاك من الجدّ ونصبه ، وحبّب[٤٣] اليك المزاحَ والفكاهةَ ، وبغّضَ اليكالاستقصاءَ والمحاولةَ ، وأزالَ عنك تعقدَ الحشمة وكدَّ المروءة ، وصار يومه جمالاً لأيامالفكرة وتسهيلاً لمعاودة الرؤية ، لكان في ذلك ما يوجب الشكر ويطيّب الذكر . مع أن جميعما وصفناه وأخبرنا به عنه يقوم بأيسر القَرَم[٤٤] وأقلّ الثمن . ثم يعطيك في السفر ما يعطيك فيالحضر ، وسواء عليك البساتين والجنان ، ويصلح بالليل كما يصلح بالنهار ، ويطيب في الصحو كمايطيب في الدجن ، ويلذّ في الصيف كما يلذّ في الشتاء ، ويجري في[٤٥] كلّ حال ، وكل شيءسواه فانما يصلح في بعض الأحوال . [ويدفع مضرّة الخمار كما يجلب منفعة السرور] . إنْ كنتَ جذلاً كانَ بارّاً بك ، وإنْ كنتَ ذا همٍّ نفاه عنك . وما الغيثُ في الحرثِ بأنفع منهفي البدن ، وما الريش السخّام[٤٦] بأدفأ منه

(٣٦) ك . ب : غرساً .
(٣٧) ك . ب : المجاهدة .
(٣٨) ب : الدبيب .
(٣٩) ك ، ب : في .
(٤٠) ك . ب : رخي .
(٤١) ك ، ب الدرع .
(٤٢) من ك ، ب . وفي الاصل : اختل .
(٤٣) ب : وحسّن .
(٤٤) ك ، ب : الجرم . والقرم : شدة شهوة اللحم .
(٤٥) ك ، ب : مع .
(٤٦) السخام من الشعر والريش والقطن : اللين الحسن . وفي ك ، ب : السجام ، وهو تصحيف .

للمقرور ، ويُستمرأ به الغداء ويُدفع به ثقل/ (١٢٤) الماء ، ويُعالج به الأدواء ، ويُحمر به الوجنتان ، ويُعدل به قضاء الدين . إنْ انفردتَ به ألهاك وإن نادمت به سواك[٤٧] . ثم هو أصنع للسرور من زلزل ، وأشد إطراباً من مُخارِق[٤٨]،وقدر احتياجهما اليه كقدر استغنائه عنهما ، لأنّه أصل اللذات وهما فرعه ، وهو أوّل السروروتاجه ، ولله درّ أوّل مَنْ عمله وصنعه ، وسقياً لمن استنبطه وأظهره ، ماذا دبّر ؟ وعلى أيّ شيءٍ دلّ ؟ وبأيّ معنى أنعمَ ؟ وأيّ دفينٍ أثارَ ؟ وأيّ كنزٍ استخرجَ ؟

ومن استغناء النبيذ بنفسه وقلّة احتياجه الى غيره أنّ جميع ما ساواه من الشراب يصلحه الثلج ولا يطيب إلّا به . وأول ما تثني عليه به ونذكر منه أنّه كريم الجوهر ، شريف النفس ، رفيع القدر ، بعيد الهمّ . وكذلك [طبيعته]المعروفة ، وسجيّته الموصوفة ، وأنه يسرّ النفوس ، ويحبّب اليها الجود ، ويزيّن لها الإحسان ، ويرغّبها في التوسع ، ويورثها الغنى ، وينفي عنها الفقر ، ويملأها عزّاً ، ويعدها خيراً ،ويحسن المسارة ، ويصير به النبت[٤٩] خِصباً ، والجناب مربعاً ومأهولاً معشباً[٥٠] ، وليس شيءمن المأكول والمشروب اجمع للظرفاء ولا أشدّ تألّفاً للأدباء ولا أجلب للمؤنسين ولا أدعى الىخلاف المتنعين ولا أجدر أنْ يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم ويطول به مجلسهم منه ، وأنّ كلّ شراب وإنْ كان حلا ورقّ وصفا ودقّ وطاب وعذب وبرد ونفح ، فإنّ استطابتك لأوّلجرعة منه[٥١] كثير ويكون من طبائعك أوقع ، ثم لا يزال في نقصان إلّا أنْ يعود مكروهاً وبلية إلّاالنبيذ ، فإنّ القدح الثاني أسهل من الأول ، والثالث أيسر ، والرابع ألذّ ، والخامس أسلس ،والسادس أطرب ، الى أن يسلمك الى النوم الذي هو حياتك أو أحد أقواتك . ولا خير فيه إذا كانإسكاره تغلباً ، وأخذه بالرأس تعسفاً ، حتى يبيت الحس بحدّته ، ويصرع الشارب بسورته ،ويورث البهر بكظته ، ولا يسري في العروق لغلظته ، ولا يجري في البدن لركوده ، ولا يدخلفي العمق ولا يدخل الصميم[٥٢] ، ولا واللهِ حتى يغازل العقل ويقارصه[٥٣] ، ويدعدعه[٥٤]ويخادعه ، فيسره ثم يهزه[٥٥] ، فإذا امتلأ سروراً وعاد ملكاً محبوراً خاتله السكر وراوغه ، ودارهوماكره ، وهازله وغانجه . وليس كما يغتصب السكر ويعتسف / (٢٤ ب) الدّاذي[٥٦]ويفترس الزبيب ، ولكن بالتفتير والغمز والحيلة

(٤٧) ب : ساواك .

(٤٨) مخارق إمام عصره في الغناء ، كان الرشيد معجباً به ، ت ٢٣١ هـ (الأغاني ٧١/٣ و ٢٦٢/٦ ، النجوم الزاهرة ٢٦٠/٢) .
أما زلزل فهو منصور زلزل الضارب بالعود وكان يضرب المثل بضربه العود ، مات في خلافة الرشيد (جمهرة المغنين ١٤٠) .

(٤٩) ب : البيت .

(٥٠) ب : مفشياً .

(٥١) من ب . وفي الأصل و ك : منها .

(٥٢) ب : في الصميم .

(٥٣) ك ، ب : ويعارضه .

(٥٤) ك ، ب : يدعه . ودعدع الشيء حركه ، ودعدع السيل الوادي حركه .

(٥٥) ب : يهره .

(٥٦) الداذي : نبت عبق الرائحة . وفي القاموس: الداذي شراب للفساق . قال الشاعر :
شربنا من الداذي حتى كأننا
ملوك لنا برُ العراقين والبحرُ
وفي ك ، ب : الذاذي .

والختل[٥٧] وتحبيب النوم وتزيين الصمت • وهذه صفة شرابك إلّا ما لا نحيط به ولعوثه تتبدّل[٥٨] إلّا ما يقبح منها الجهل به •

وخير الأشربة ما جمع المحمود من خصالها وخصال غيرها • وشرابك هذا قد أخذ من الخمر زينتها[٥٩] في المفاصل وتمشيها في العظام ولونها الغريب ، وأخذ برد الماء ورقّة الهواء ، وحركة النار ، وحمرة خدك إذا خجلتَ ، وصفرة لونك إذا فزعتَ ، وبياض عارضك[٦٠] إذا ضحكت • وحسبي بصفاتك عوضاً من[٦١] كلّ حسن ، وخلفاً من كلّ صالح • ولا تعجب إن كانت[٦٢] نهاية الهمة وغاية المنية[٦٣] ، فإنّ حسن الوجوه إذا وافق حسن القوام وشدّة العقل وجودة الرأي وكثرة الفضل وسعة الخلق والمغرس الطيّب والنصاب الكريم والطرف الناصع واللسان المفحم والمخرج السهل والحديث المونق مع الإشارة الحسنة والنبل في الجلسة والحركة الرشيقة واللهجة الفصيحة والتمهل في المحاورة والهزّ[٦٤] عند المناقلة والبديه البديع والفكر الصحيح والمعنى الشريف واللفظ المحذوف والإيجاز يوم الإيجاز والإطناب يوم الاطناب ، يفلّ الحزّ[٦٥] ويصيب المفصل ويبلغ بالعفو ما يقصر عنه الجهد ، كان أكثر لتضاعف الحسن وأحق بالكمال والحمد[٦٦] •

التاج[٦٧] بهي وهو في رأس الملوك أبهى ، والياقوت الكريم حسن وهو في جيد المرأة الحسناء أحسن ، والشعر الفاخر حسن وهو من الأعرابيّ أحسن فإنْ كان من قول المنشد وقريضه ومن نحته وتحبيره فقد بلغ الغاية وقام على النهاية •

وهذا الشراب حسن وهو عندك أحسن ، والهدية منه شريفة وهي منك أشرف • وإنْ كنت قدّرتَ أنّي إنّما طلبته منك لأشربه أو لأسقيه أو لأهبه أو لأتحساه في الخلا أو أديره في الملا أو لأنافس فيه الأكفاء واختبر زيادة الخطباء[٦٨] أو لأبتذله لعيون الندماء أو اعرضه لنوائب الأصدقاء، فقد أسأتَ بي الظنّ وذهبتَ من الإساءة بي في كلّ فن ، وقصرتَ به فهو أشدد عليك ، ووضعتَ منه فهو أضرد بك • وإنْ ظننتَ أني إنما أريده لأطرف به معشوقة أو لأستميل به هوى ملك أو لأغسل به أوضار[٦٩] الأفئدة أو أ ودي / (١٢٥) به خطايا الأشربة أو لأجلو به الأبصار العليلة أو أصلح به الأبدان الفاسدة أو لأتطوع[٧٠] به على شاعر مُفْلِقٍ أو خطيب مُصْقِعٍ أو أديب مُدْقع ، ليفتق لهم المعاني وليخرج المذاهب ، ولما في حياتهم[٧١] من الأجر وفي أعناقهم من

---

(٥٧) من ب ، وفي الاصل : الحل . وفي ك : الحيل .
(٥٨) ك ، ب : بتبذل .
(٥٩) ب : دبيبها .
(٦٠) ب : عارضيك .
(٦١) من ك ، ب . وفي الاصل : من .
(٦٢) ب : كنت .
(٦٣) ب : الامنية .
(٦٤) ب : الهذ .
(٦٥) ك : المحز .
(٦٦) ساقطة من ك .
(٦٧) ك ، ب : وانّ التاج ...
(٦٨) ب : الخلطاء . ك : الخطا .
(٦٩) ك ، ب : وضر .
(٧٠) ك ، ب : لأتطول .
(٧١) ك ، ب : جانبهم .

الشكر ، ولينقضوا ما قالت الشعراء في الحمد ،وليرتجعوا ما[٧٢] شاع لهم من الذكر ، فإنّي أريد أنْ أضع من قدرها وأنْ أكسـر من بالها ، فقدتاهت وتيه بها ، أو لأنْ أتفاءل برؤيته[٧٣] وأتبرك بمكانه وآنس بقربه ، أو لأشفي به الظمآن ، أوأجعله أكسير أصحاب الكيميـاء ، أو لأن أذكرك كلما رأيته وأُداعبك كلما قابلته ، أو لأجتلب بهاليسر وأنفي العسر ، أو لأنه[٧٤] والفقر لايجتمعان في دار ولا يقيمان في ربع ، ولأتعرف بـه حسن اختيارك وأتذكّر به جودة احتبائك[٧٥] ، أو لأن استدلّ به على خالص حبّـك وعلى معرفتـك بفضلي وقيامك بواجب حقّي ، فقد أحسنتَ بي الظنّ وذكرتَ من الإحسان في كلّ فن • بل هوالذي أصونه صيانة الأعراض وأغار عليه غـيرة الأزواج • واعـلمْ أنّك إنْ أكثرتَ لي منـهخرجتَ الى الفساد ، وإنْ أقللتَ أقمتَ عـلى الاقتصاد ، وأنا رجل من بني كنانة وللخلافة قرابةولي فيها شفعة وهم بَعْدُ جنس وعصبة ، فأقلّ ما أصنع إنْ أكثرتَ لي منـه أنْ أطلبَ الملكوأقلّ ما يصنعون بي أن أُنفى من الأرض ، فإنْ أقلَلْتَ فإنّك الولدُ الناصـح ، وإنْ أكثرتَفإنّك الغاش الكاشحُ والسلام •

---

(٧٢) ك : وليرتجفوا مما . .

(٧٣) من ك ، ب . وفي الأصل : الى رؤيته . .

(٧٤) من ك ، ب . وفي الأصل : ولأنّه .

(٧٥) ب : اجتبائك .

(٨)

فصل من رسالة الى أبي الفرج الكاتب في المودة والخلطة

(١٠٨ ا) / أطال الله بقاءك ، وأعزّك ،وأكرمك ، وأتمّ نعمته[١] عليك .

زعم — أبقاك الله — كثير" ممن يقرض الشعر ويروي معانيه ، ويتكلف الأدب ويجتبيه أنه قد يُمدح المرجو المأمول والمغشي[٢] المزور ،بأن يكون مخدوعاً ، وعمى الطرف مُغفلاً ، وسليم الصدر للراغبين ، وحسن الظن بالطالبين ،قليل الفطنة لأبواب الاعتذار ، عاجزاً عن التخلص الى معاني الاعتلال ، قليل الحذق برد الشفعاء ،شديد الخوف من مياسم[٣] الشعراء ، حَصِراً[٤] عند الاحتجاج للمنع ، سلس القياد إذا نبهته[٥] للبذل ، واحتجوا بقول الشاعر :

إيتِ الخليفة فاخْدَعْهُ بمسألةٍ إنّ الخليفةَ للسُّؤالِ ينخدعُ

فانتحال المأمول للغفلة التي تعتري الكرام ،واختداع الجواد لخدع الطالبين ومخاريق المستميحين ، باب من الكرم[٦] ، ومن استدعاء الراغب ، ومن التعرض للمجتدي ، والتلطف لاستخراج الأموال ، والاحتيال لحل عقد الأشحاء،وتهييج طبائع الكرام .

وأنا / (١٠٨ ب) أزعم — أبقاك الله[تعالى] — أنّ إقرار المسؤول بما ينحل[٧] من ذلك نوك" وإضماره لؤم" حتى تصح القسمة ويعتدل الوزن .

وأنا أعوذ بالله من تذكير يناسب الاقتضاء ،ومن اقتضاء يضارع الإلحاح ، ومن حرص يقود الى الحرمان ، ومن رسالة ظاهرُها زهد" وباطنُها رغبة" ،فإنّ أسقط الكلام وأوغده وأبعده من[٨] السعادة وأنكده ، ما أظهر النزاهة وأضمر الحرص،وتجلّى للعيون بعين القناعة واستشعر[٩] ذلّة الافتقار ، وأشنع من ذلك وأقبح منه وأفحش أنْ يظنّ صاحبه أنّ معناه خفيّ وهو ظاهر" ، وتأويله بعيد الغور وهو قريب القعر .

---

(١) ك ، ب : نعمه .
(٢) ب : الفتى . ك : المفتى .
(٣) ك : مباسم .
(٤) ب : حصوراً . ك : حصور .
(٥) ب : نبهته تنبه للبذل .
(٦) ك ، ب : التكرم .
(٧) ك : يبخل .
(٨) ب : عن .
(٩) ك ، ب : واستشنع .

ونسأل[١٠] الله تعالى السلامة فإنّها أصلُ النعمة عليكم ، ونحمده على اتصال نعمتنا بنعمتكم وما ألهمنا الله [تعالى] من وصف محاسنكم .

والحمد لله الذي جعل الحمد مستفتح كتابه وآخر دعوى أهل جنّته . ولو أنّ رجلاً اجتهد في عبادة ربّه واستفرغ مجهوده في طاعة سيّده ليهب له الإخلاص في الدعاء لمن أنعم عليه وأحسن اليه ، لكان حَرِيّاً بذلك أنْ يدرك أقصى غاية الكرم في العاجل وأرفع درجات الكرامة في الآجل .

وعلى أنّي لا أعرف معنىً أجمع لخصال الشكر ولا أدلّ على جماع الفضل من سخاوة النفس بأداء الواجب . ونحن وإنْ لم نكن اعطينا الإخلاص جميع حقّه ، فإنّ المرء مع مَنْ أحبَّ وله ما احتسب .

ولا أعلم شيئاً أزيد في السيّئة من استصغارها ، ولا أحبط للحسنة[١١] من العجب بها ، ومما يستديم الخطأ ويطيل لبث[١٢] التقصير إهمال النفس وترك التوقف وقلة المحاسبة وبُعْد العهد بالتثبت .

ومهما[١٣] رجعنا اليه من ضعف في العزم[١٤] وهان علينا[١٥] ما نفقد من مناقل الحكم فإنّا لا نجمع بين التقصير والإنكار .

ونعوذ بالله أنْ نقصّر في ثناء على محسن أو دعاء لمنعم ، ولئن اعتذرنا لأنفسنا بمودّة الصدق[١٦] وبجميل الذكر فلما[١٧] يعدد لكم من تحقّق الآمال والنهوض بالأثقال أكثر . على أنّكم لم تحمّلونا إلّا الخِفَّ ، وقد حمّلناكم الثِقْلَ ، ولم تسألونا الجزاء على إحسانكم ، وقد سألناكم الجزاء على ما سألناكم ، ولم تكلّفونا ما يجب لكم ، وكلّفناكم ما لا يجب عليكم ، ومن إفراط الجهل أنْ تتذكر حقّنا في (حسن الظن ولا نتذكر حقكم في)[١٨] تصديق ذلك الظن . وقد قال رسول الله صلى الله عليه [وسلم] :

(ما عظُمَتْ نعمةُ اللهِ على أحدٍ إلّا عظُمَتْ عليه مؤْنَةُ الناسِ)[١٩] .

وأنا أسأل الله الذي ألزمكم / (١٠٩ ا) المؤَنَ الثِقال ، ووصل بكم آمال الرجال ، وامتحنكم بالصبر على تجرع المرار ، وكلّفكم مفارقة المحبوب من الأموال ، أنْ يسهلها عليكم ويحبّبها إليكم حتى يكون شغفكم بالإحسان الداعي اليه ، وصبابتكم بالمعروف الحامل عليه ،

---

(١٠) ك ، ب : فنسأل .
(١١) من ك ، ب . وفي الأصل : لحسنة .
(١٢) (يطيل لبث) ساقط من ك ، ب .
(١٣) من ب . وفي الأصل و ك : وبهما .
(١٤) من ب . وفي الأصل و ك : عزم .
(١٥) ساقطة من ب .
(١٦) ك ، ب : بصدق المودة .
(١٧) ك ، ب : فما .
(١٨) ما بين القوسين ساقط من ك ، ب بسبب انتقال النظر ، وهذا يحدث في الجمل المتشابهة النهايات .
(١٩) الجامع الصغير ٢/١٤٦ . وكمال الحديث فيه : « ما عظمت نعمة الله على عبد إلّا اشتدت عليه مؤنة الناس فمن لم يحتمل تلك المؤنة للناس فقد عرّض تلك النعمة للزوال » والمؤنة جمع مؤَن .

وحتى يكون حبّ التفضل والمحبة لاعتقاد[٢٠] المنن ، الغاية التي تستدعي المدبر ، والنهاية التي تعذر المقصّر ، وحتى تكرهوا على الخير[٢١] من أخطأ حظه ، وتفتحوا باب الطلب لمن قصر به العجز .

ثم اعلم — أصلحك الله [تعالى] — أن الذي وجد في العبرة ، وجرت عليه التجربة ، واتسق به النظم ، وقام عليه وزن الحكم ، واطرد منه النسق ، وأثبته الفحص ، وشهدت له العقول ، أنّ من أوّل أسباب الخلطة والدواعي الى المحبّة ما يوجد على بعض الناس من القبول عند أوّل وهلة ، وقِلّة إنقباض النفوس مع أول لحظة[٢٢] ، ثم اتفاق الأسباب التي تقع بالموافقة عند أول المجالسة ، وتلاقي النفوس بالمشاكلة عند أول الخلطة[٢٣] .

والأدب أدبان : أدبُ خُلُقٍ وأدبُ روايةٍ ، ولا تكمل أمور صاحب الأدب إلّا بهما ، ولا تجتمع له أسباب التمام إلّا من أجلهما ، ولا يُعَدُّ في الرؤساء ، ولا يثنى به الخنصر في الأدباء ، حتى يكونَ عقله المتأمّر عليهما والسائس لهما .

فصل منها

فإنْ تمّتْ بعد ذلك أسباب الملاقاة تمّتْ المصافاة وحنّ الأليف[٢٤] الى سكنه . والشأن قبل ذلك ما يسبق الى القلب ويخفّ على النفس ، ولذلك احترس الحازم المستعدى عليه من السابق الى قلب الحاكم عليه . ولذلك التمسوا الرفق والتوفيق والإيجاز وحسن الاختصار وانخفاض الصوت ، وأنْ يُخرجَ الظالمُ كلامَه مخرجَ لفظ المظلوم ، نَعَمْ[٢٥] ، وحتى يترك اللحن بحجته بَعْدَ حجته[٢٦] ، ويخلف الداهية كثيراً من أدبه ، ويغض من محاسن منطقه التماساً لمواساة خصمه في ضعف الحيلة ، والتشبه به في قلّة الفِطنة .

نَعَمْ ومتى يكتب كتاب سعاية ومحلٍ وإغراق فيلحن في إعرابه ، ويتسخّف في ألفاظه ، ويتجنب القصد ، ويهرب من اللفظ المعجب ليخفي مكان حِذْقه[٢٧] ، ويستر موضعَ رِفقه ، حتى لا يحترس منه الخصم ولا يتحفّظ منه صاحب الحكم ، بعد أنْ لا يضر بعين معناه ، ولا يقصّر في الإفصاح عن تفسير مغزاه .

وهذا هو الذي يكون العيي فيه أبين ، وذو الغباوة أفطن ، والرديء أجود ، والأَنْوَك[٢٨] أحزم ، والمضيع أحكم ، إذْ كانَ غرضه الذي إيّاه يرمي وغايته التي اليها يجري ، الانتفاع بالمعنى المتخيّر دون المباهاة باللفظ ، وإنّما كانت[٢٩] / (١٠٩ ب) غايته إيصال المعنى الى

(٢٠) ك : لاعتياد .
(٢١) ب : البر .
(٢٢) ك : الخلطة . ب : المخالطة .
(٢٣) ب : المخالطة .
(٢٤) ك ، ب : الإلف .
(٢٥) ساقطة من ك ، ب .
(٢٦) ساقطة من ك ، ب .
(٢٧) الحذق : المهارة . وفي ك ، ب : حذله .
(٢٨) الانوك : الأحمق .
(٢٩) ك ، ب : كان .

القلب دون نصيب السمع من اللفظ المونق والمعنى المتخيّر ، بل رُبّما لم يرض باللفظ السليم حتى يسقمه ليقع العجز موقع القوة ويعرض العي في محل البلاغة . إذْ كان حقّ ذلك المكان اللفظ المدون والمعنى الغُفل ، هذا إذا كان صاحب القصة ومؤلف لفظ المحل والسعاية ممن يتصرف قلمه ويعلل[٣٠] لسانه ويفترق[٣١] في مذاهبه ويكون في وسعه فصل[٣٢] لأنْ يحط نفسه الى[٣٣] طبقة الذلّ وهو عزيز[٣٤] ، ومحل العي وهو بليغ ، ويتحول في هيئة المظلوم وهو ظالم ، ويمكنه تصوير الباطل في صورة الحق ، وستر العيوب بزخرف القول . وإذا شاء طفا ، وإذا شاء رسب ، وإذا شاء أخرجه عقلاً صحيحاً . وما أكثر من لا يحسن إلاّ الجيد فإنْ طلب الرديء جاوزه، كما أنّه ما أكثر من لا يستطيع إلّا الرديء فإن طلب الجيد قصر عنه . وليس كل بليغ يكون بتلك الطباع ، وميسر الأداة ، وموسعاً عليه في تصريف اللسان ، وممنوناً عليه في تحويل القلم . وما أكثر من البصراء [مَنْ] يحكي العميان ويحول لسانه الى صورة لفظ الفأفاء[٣٥] بما لا يبلغه الفأفاء ولا يحسنه التمتام . وقد نجد مَنْ هو أبسط لساناً وأبلغ قلماً لا يستطيع مجاوزة ما يشركه والخروج مما قصر عنه .

فصل منها

ولولا الحدود المحصلة ، والأقسام المعدلة لكانت الأمور سُدًى ، والتدابير مهملة ، ولكانت عورة الحكيم بادية ، ولاختلطت السافلة بالعالية .

فصل منها

وأنا أقول بعد هذا كله : لو لم أضمر لكم محبة قديمة ، ولم أضر بكم بشفيع من المشاكلة ، ولا بسبب الأديب الى الأديب ، ولم يكن على قبول ولا على حلاوة عند المحصول ، ولم أكن إلّا رجلاً من عرض المعارف ، ومن جمهور الاتباع ، لكان في إحسانكم الينا وإنعامكم علينا ، دليل على أنّا أخلصنا المحبة ، وأصفينا لك المودّة . وإذا عرفتم ذلك بالدليل النير الذي أنتم سببه ، والبرهان الواضح الذي اليكم مرجعه ، لم يكن لنا عند الناس إلّا توقع ثمرة الحب ونتيجة جميل الرأي ، وانتظار ما عليه مجازاة القلوب . وبقدر الانعام تجود النفوس بالمودّة ، وبقدر المودّة تنطلق الألسن بالمدحة . وهذه الوسيلة أكثر الوسائل[٣٦] وأقواها في نفسي ، اني لم أصل سببي[٣٧] بمُحْرَمٍ غُمْرٍ[٣٨] ولا بمبخل[٣٩] غُفل ، ولا بضيق / (١١٠ ا) العطن حديث

(٣٠) ب : يعمل .
(٣١) ب ، ك : يلتزق .
(٣٢) ب : في سعة وحل .
(٣٣) ك ، س : في .
(٣٤) ب : غزير .
(٣٥) الفأفاة : حُبسة في اللسان وغلبة الفاء على الكلام . والفأفاء الذي يكثر ترداد الفاء إذا تكلم . والتمتمة : رد الكلام الى التاء والميم ، وقيل : التمتمة الترديد في التاء .
(٣٦) من ك ، ب . وفي الأصل : وسائل .
(٣٧) (اني لم أصل سببي) ساقط من ب .
(٣٨) ك : وغمر .
(٣٩) ك ، ب : بمتحل .

الغنى ، ولا بزمر المروءة مستنبط الثرى ، بل وصلته بحمّال أثقال ، ومقارع أبطال ، وبمن ولد في اليسر وربى فيه ، وجرى منه على عِرق ونزع إليه .

فصل منها

ولا خير في سمين لا يحتمل هزال أخيه ، وصحيح لا يجبر كسر صاحبه .

فصل منها

وقد تنقسم المودّة الى ثلاث منازل : منهاما يكون على اهتزاز الأريحية وطبع الحرية ، ومنها ما يكون على قدر فرط وسائل الفاقة ، ومنهاما يحسن موقعه على قدر طباع الحرص وجشع النفس .

فأرفعها منازل حبّ المشغوف شكر النعمة ، وهو الذي يدوم شكره ويبقى على الأيام ودّه . والثاني هو الذي إنّما اشتدّ حبّه على قدر موقع المال من قلب الحريص الجشع واللئيم الطبع ، فهذا الذي لا يشكر ، وإنْ شكر لم يشكر إلّا ليستزيد ، ولم يمدح إلّا ليستمد وعلى أنّه لا يأتي الحمد إلّا زحفاً ولا يفعله إلّا تكلفاً . وأنا أسأل الله الذي قسم له أفضل الحظوظ في الأنعام أنْ يقسم لنا أفضل الحظوظ في الشكر . وما غاية قولنا هذا ومدار أمرنا إلّا على طاعة توجب الدعاء ، وحرية توجب الثناء ، شاكرين كنّا أو منعمين ، وراجين كنّا أو مرجوين . ومن صرف الله حاجته الى الكرام وعدل به عن اللئام ، فلا يعدن نفسه في الراغبين ولا في الطالبين المؤملين . لأنّ مَنْ يجرع مرارة المطال ولم يمد للرحيل[40] التسويف ويقطع عنقه بطول الانتظار ويحمل مكروه ذلّ السؤال ويحمل على طمع يحثه يأس ، كان خارجاً من حدود المؤملين .

ومن استولى على طمعه الثقة بالإيجاز[41] وعلى طلبته اليقين بسرعة الظفر وعلى ظفره الجزيل من الأفضال وعلى أفضاله العلم بقِلّة التثريب وبالسلامة من التنغيص بالتماس الشكر ، وبالغدو والرواح ، وبالخضوع إذا دخل ، والاستكانة إذا جلس ، ثم مع ذلك لم يكن ما أنعم عليه ثواباً لسالف يد ، ولا تعويضاً من كد ، كانت النعمة محضة خالصة ، ومهذبة صافية ، وهي نعمتكم التي ابتدأتمونا بها . ولا تكون النعمة سابغة ، ولا الأيدي شاملة ، ولا الستر كثيفاً ذيّالاً ، وكثير العرضْ مطبقاً ، ودون الفقر حاجزاً ، وعلى الغنى ملتحفاً ، حتى يخرج من عندكم[42] ثم يحتسب الى شاكر حرّ .

فصل منها

وأنتم قوم تقدمتم بابتناء المكارم في حال المهلة ، وأخذتم لأنفسكم فيها بالثقة / (١١٠ ب)

(٤٠) ب : للراجي . (٤١) ب : بالانجاز . (٤٢) ب : حتى يخرج من عند كريم حر ثم ...

على مقادير ما مكنتم الأواخي ، ومددتم الأطناب[٤٣] ، وثبتم القواعد . ولذلك قال الأول[٤٤] :

عَزَمْتُ على إقامةِ ذي صباحٍ　　　لأمرٍ ما يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

وأبو الفرج ـ أعزّه الله ـ فتى العسكرين ،وأديب المصرين ، جمع أريحية الشباب ، ونجابة الكهول ، ومجد السادة ، وبهاء القادة ، وأخلاق الأدباء ، ورشاقة عقول الكتاب ، والتغلغل الى دقائق الصواب ، والحلاوة[٤٥] في الصدور ،والمهابة في العيون ، والتقدم في الصناعة ، والسبق عند المحاورة . شقيق أبيه ، و [شبيه] جده ،حَذْوَ النعلِ بالنعلِ ، والقُذَّةِ بالقُذَّة[٤٦] ، لم يتأخر عنهما إلّا فيما لا يجوز أنْ يتقدمهما فيه،ولم يقصر عن شأوهما إلّا بقدر ما قصرا عن[٤٧] سَنْخهما[٤٨] . وهم وإنْ قصروا عن مدى آبائهم وعن غايات أوائلهم فلم يقصروا عن جلّة الرؤساء وأهل السوابق من الكبراء ، ولست ترى تاليهم إلّا سابقاً ، ولا مُصَلّيهم إلّا للغاية مجاوزاً ، ليس فيهم سكيت ولا مبهور ولا منقطع . قد نقحت أعراقهم من الإقراف والهجنة ، ومن الشوب ولؤم العجلة .

ومتى عاينت أبا الفرج وكماله ، ورأيت ديباجته وجماله ، علمت أنّه لم يكن في ضرائبهم وقديم نجلهم[٤٩] خارجي النسب ، ولا مجهول المركب ، ولا بهيم مصمت ، ولا كثير الأوضاع مغرب[٥٠] ، بل لا ترى إلّا كلّ أغرّ محجّل ،وكل ضخم المخرج هيكل . إنّي لست أخبر عن الموتى ، ولا استشهد الغيب[٥١] ، ولا استدل بالمختلف فيه ، ولا الغامض الذي تعظم المؤنة في تعرفه ، والشاهد لقولي يلوح في وجوههم ،والبرهان على دعواي ظاهر[٥٢] في شمائلهم ، والأخبار مستفيضة ، والشهود متعاونة . وأنت حين ترى عتق تلك الديباجة ، ورونق ذلك المنظر، علمت أنّ التالد هو قياد هذا الطارف . أمّا أنا فلم أرَ لأبي الفرج ـ أدام الله كرامته ـ ذاماً ولا شانئاً ولا عائباً ولا هاجياً ، بل لم أجد مادحاً قطّ إلّا ومَن سمع تسابق[٥٣] الى تلك المعاني ،

---

(٤٣) الأطناب : جمع طُنُب بضم الطاء والنون وهو حبل الخباء .

(٤٤) أنس بن مدركة الخثعمي في الحيوان ٣/٨١ والخزانة ٣/٨١ . وهو من شواهد سيبويه ١/١١٦ .

(٤٥) ب : الجلالة .

(٤٦) جمهرة الأمثال ١/٣٨١ . يضرب مثلاً في تشابه الشيئين . والحذو : التقدير والقطع . والقذة : الريشة التي تركب على السهم .

(٤٧) ك ، ب : من .

(٤٨) السنخ : الأصل من كل شيء . وفي ك : سنحهما . والسُنْح : اليمن والبركة .

(٤٩) ك : ونخلهم .

(٥٠) ب : مقرب .

(٥١) ك ، ب : بالغيب .

(٥٢) ساقطة من ك ، ب .

(٥٣) ك ، ب : سابق .

ولا رأيت واصفاً له قطّ إلّا وكل مَنْ حضر يهش له ويرتاح لقوله . قال الطِرِّماح[٥٤] :

هلِ المجدُ إلّا السُّؤْدُدُ العَوْدُ والندى ورأبُ الثّأي والصبرُ عندَ المَواطِنِ

ولكن هل المجد إلّا كرم الأرومة والحسب، وبعد الهمة وكثرة الأدب ، والثبات على العهد إذا زلّت الأقدام ، وتوكيد العقد[٥٥] إذا انحلّت معاقد الكرام[٥٦] ، وإلّا التواضع عند حدوث النعمة ، واحتمال كلّ العثرة ، والنفاذ / (١١١ أ) في الكتابة والاشراف على الصناعة .

والكتاب وهو[٥٧] القطب الذي عليه مدار علم ما في العالم وآداب الملوك وتلخيص الألفاظ والغوص على المعاني للسداد[٥٨] والتخلص الى اظهار ما في الضمائر بأسهل القول ، والتمييز بين الحجة والشبهة وبين المفرد والمشترك ، وبين المقصور والمبسوط ، وبين ما يحتمل التأويل مما لا يحتمله ، وبين السليم والمعتل . فبارك الله لهم فيما أعطاهم ، ورزقهم الشكر على ما خولهم ، وجعل ذلك موصولاً بالسلامة وبما خطّ لهم من السعادة ، إنّه سميع قريب فعّال لما يريد .

(٥٤) الطرماح بن حكيم ، شاعر اموي ، من طيىء، ت نحو ١٢٥هـ (الشعر والشعراء ٥٨٥ ، الخزانة ٤١٨/٣) . والبيت في ديوانه ٥١٦ . والعود : القديم . الثاي : الفساد والامر العظيم يقع بين القوم . ورأب الثاى : اصلاحه . والمواطن : مواطن الحروب ، اي مواقعها . وجاء في ك : المعود الندى .. والصدر عند الواطن . وفي ب : ورب الجدى والصدق .

(٥٥) ك : النقد .

(٥٦) ب : الكرم .

(٥٧) من ك ، ب . وفي الأصل : وهي .

(٥٨) ك ، ب : السدبدة .

(٩)

فصل من صدر رسالته في استنجاز الوعد

(١١٣ ا) / قد شاعَ الخبرُ وسارَ المثلُ بقولهم : اطلبوا الحاجاتِ من حسانِ الوجوه . فإنْ كانَ الوجهُ إنما وقع على الوجه الذي فيه الناظرُ والسامعُ والشام والذائق إذا كان حسناً جميلاً وعتيقاً بهياً ، فوجهك الذي لا يحل[١] على أحد كساله ولا يخطى[٢] حواله ، وإنْ كان ذكر الوجه إنّما يقع على حسن وجه المطلب[٣] وجماله على جهة الرغبة وإنْ كان[٤] ذلك على طريق المثل وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ ، والفرع المأخوذ من الأصل ، فوجه المطلب اليك أفضل الوجوه وأسناها وأصوبها[٥] وأرضاها ، وهو المنهج الفسيح والمتجر الربيح ، وجماله ظاهر ونفعه حاضر وخيره غامر[٦] ، إلّا انّ الله تعالى قرنه مع ذلك باليمن ، وسهّله باليسر ، وحبّبه بالبشر الحسن ، ودعا اليه بلين الحجاب ، وأظهر في أسمائكم وأسماء آبائكم وفي كُناكم[٧] وكُنى اخوانكم من برهان الفأل الحسن ونفي الطيرة[٨] السيّئة ما جمع لكم به صنوف الأمل وصرف اليكم وجوه المطالب فاجتمع فيكم تمام القوام وبراعة الجمال والبشر[٩] عند اللقاء ولين [الخطاب و] الكنف للخلطاء وقلّة البذخ بالمرتبة الرفيعة والزيادة في الإنصاف عند النعمة الحادثة ، فجعل[١٠] الناس وعدكم من أكرم الوعد وعقدكم من أوثق العقد واطماعكم من أصح الانجاز ، وعلموا[١١] أنّكم تؤيسون في مواضع اليأس ،وتطمعون في مواضع الضمان ، وأنّ الأمورَ عندكم موزونةٌ معدلةٌ والأسبابَ مقدرةٌ محصّلةٌ ، هذا مع الصولة والتصميم في موضع التصميم ، والتقية[١٢] أحزم ، والصفح ــ إذا كان الصفح ــ أكرم ، والرحمة لمن استرحم ، والعقاب

(١) ك : يحيل . س : يحيد عن احد .
(٢) س : يخفى جماله .
(٣) س : الطلب ، في الموضعين .
(٤) ساقطة من س .
(٥) من ك ، وفي الأصل : اصونها .
(٦) من ك ، س . وفي الأصل : عامٌ .
(٧) من ك ، س . وفي الأصل : كتابكم .
(٨) من ك ، س . وفي الأصل : الطبيعة .
(٩) ك : البشرة .
(١٠) من س . وفي الأصل و ك : تجعل .
(١١) ك : واعلموا .
(١٢) س : الثقة .

لمن صمم • ثم المعرفة لفرق[13] ما بين اعتزام الغُمْر[14] واعتزام المستبصر ، وفصل[15] ما بين اعتزام الشجاع والبطل وبين اقدام الجاهل المتهوِّر •

وقد علم الناس بما شاهدوه منكم ، وعاينوه من تدبيركم[16] ، وعرفوه من تصرف حالاتكم ، أنّي لم أتزيّد لكم ولم أتكلف فيكم ما ليس عندكم •

وخير المديح ما وافق جمال الممدوح ،وأصدق الصفات ما شاكل مذهب الموصوف وشَهِدَ له أهلُ العيان الظاهر والخبر المتظاهر ،ومتى خالف هذه القضية وجانب الحقيقة ضارّ المادح ولم ينفع الممدوح ، هذا الى الثبات على العهد وإحكام العقد مع الوفاء العجيب والرأي المصيب • وتمامُ ذلك وكماله وسناءُ ذلك وبهاؤه وكثرةُ[17] الشهود لكم واجماع الناس على ذلك فيكم •

ومَنْ قَبِلَ لنفسه مديحاً لا يُعرف [به]كان كمادحٍ / (١١٣ ب) نفسِهِ ، ومَنْ أثاب[18] الكذّابين على كذبهم كان شريكهم في إثمهم وشقيقهم في سخفهم ، بل كان المحتقب[19] لكبْره المحتمل لوزره إذْ كان المثيب عليه والداعي إليه •

معاذ الله أنْ نقولَ إلّا معروفاً غير مجهول ونَصِفَ إلّا صحيحاً غير مدخول ، أو نكون ممن يتودّد بالمَلَقِ ويتقحّم على أهل الأقدار شَرَهاً الى مالٍ أو حِرْصاً على تقريب • وأبعدَ اللهُ الحِرْصَ وأخزى الشَّرَه[20] والطمعَ •فإنْ شكّ شاكٌ أو توقّفَ مرتابٌ فليعترض العامة وليتصفّح ما عند الخاصة حتى يتبيَّنَ الصبح •

وقالوا في تأديب الولاة وتقديم تدبير الكفاة : إذا أبردتم البريد فاجعلوه حَسَنَ الوجه، حَسَنَ الاسم ، فكيف إذا قارن حُسْنَ الوجه وحُسْنَ الاسم كرمُ الضَّريبة[21] وشرفُ العِرْق ؟

وأعيان الأعراق الكريمة والأخلاق الشريفة[22] إذا استجمعت هذا الاستجماع واقترنت هذا الاقتران كان أتمّ للنعمة وأبدع[23] للفضيلة ، وكانت الوسيلة إليها أسهل والمأخذ نحوها أقرب والأسباب أَمْتَن • فإذا انتظمت في هذا السلك وجمعها هذا النظم ، كان الذي يبرد البريد أولى بها من البريد ، وكان مقوم البلاد أحقّ بها من حاشية[24] الكفاة ، إذ التأميل لا يجمع وجه الصواب ولا يخص مخارج الأسباب ، ولا يظهر برهانه ويقوى سلطانه حتى يصيب المعدن •

(١٣) ك : تفرق . س : فرق .
(١٤) يقال رجل غمر اي لم يجرب الامور .
(١٥) ك : فضل .
(١٦) س . ك : تدبير .
(١٧) س : وبهائه وكثرة .
(١٨) ك : اناب .
(١٩) يقال : احتقب خيراً او شراً واستحقبه اي ادخره واحتمله . وفي ك : المحتفل .
(٢٠) الشره : غلبة الحرص . والحرص : الجشع .
(٢١) الضريبة : الطبيعة والسجية .
(٢٢) ساقطة من س .
(٢٣) من ك ، س . وفي الأصل : ابرع .
(٢٤) س : حاشيته .

ولن يكون موضع الرغبة معدناً إلّا بعد اشتماله على ترادف خصال الشرف ، وبعد أنْ تتوافى اليه معاني الكرم بالأعراق الكريمة والعادات الحسنة عن[٢٥] حادثٍ يشهد لقادمٍ وطارفٍ يدلّ على تالدٍ ، فإنْ[٢٦] كان الأمل يخبر بالحسب فالحسبُ ثاقبٌ والمجد راسخٌ ، وإنْ كان الشأن في صناعة الكلام وفي القِدم والرئاسة ، وفي خَلَفٍ يأثره عن سَلَفٍ وآخر يلقّاه[٢٧] عن أول قبلكم ما لا يذهب عنه جاحِدٌ ولا يستطيع جحده[٢٨] معانِدٌ .

فصل منها

وأسماؤكم وكُناكم بين فرج ونُجح وبين سلّامة وفضل ، ووجوهكم وفق أسمائكم ، وأخلاقكم وفق أعراقكم لم يضرب التفاوت فيكم بنصيب . وبعدَ هذا فإنّي استغفر الله [تعالى] من تفريطي في حقوقكم واستوهبه طول رقدتي عمّا فرضه[٢٩] لكم ، ولا ضَيْرَ إنْ كانَ هذا الذي قلنا على[٣٠] اخلاص وصحة عهد ، وعلى صدق سيرة وثبات عقد ، فقد[٣١] ينبو السيف وهو حسام ، ويكبو الطرف وهو جواد / (١١١٤) وينسى الذكور ، ويغفل الفَطِنُ . ونعوذُ بالله تعالى من العمى بعدَ البصيرة والحيرة بعد لزوم الجادّة .

كان أبو الفضل ــ أعزّه الله ــ على ما قد بلغك من التبرع بالوعد وسرعة الانجاز وتمام الضمان ، وعلى الله تمام النعمة والعافية ، وكان ــ أيّده الله ــ في حاجتي كما وصف زيد الخيل[٣٢] نفسه حين يقول :

وموعدتي حقٌّ كأنْ قد فعلتها ... متى ما أعد شيئاً فاني لغارمُ

وتقول العرب : (مَنْ أشبه أباه فما ظلم)[٣٣] . تقول : لم يضع الشبه إلّا في موضعه، لأنّه لا شاهد أصدق على غيب نسبه وخفي نجله من الشبه القائم فيه[٣٤] الظاهر عليه .

وقد تقيّلت ــ أبقاك[٣٥] الله ــ شَيْخَكَ[٣٦] خَلقه وخُلقه ، وفعله وعزمه ، وعز[٣٧] الشهامة والنفس التامة .

---

(٢٥) من ك ، س . وفي الأصل : على .
(٢٦) ك ، س : فإذا .
(٢٧) ك : يتلقاه .
(٢٨) ك : حجره .
(٢٩) ك : فرضته .
(٣٠) من ك ، س . وفي الأصل : عن .
(٣١) ساقطة من ك ، س .
(٣٢) شاعر مخضرم ، وفد على النبي (ص) فسمّاه : زيد الخير ، ت ٩ هـ . (الشعر والشعراء ٢٨٦ ، الخزانة ٢/٤٤٨) . وقد اخل ديوانه بالبيت . ورجل غارم : عليه دين .
(٣٣) الفاخر ١٠٣ ، جمهرة الأمثال ٢/٢٤٤ . وفي س : ابه .
(٣٤) ساقطة من س .
(٣٥) ك : ابقى .
(٣٦) ك ، س : شبحك .
(٣٧) ك : ومن .

ومرجع الأفعال الى الطبائع ، ومدار الطبائع على جودة اليقين وقوة المنّة ، وبهما تتم العزيمة وتنفذ البصيرة ، هذا مع ما قسم الله لك من المحبة ومنحك من المِقَة[٣٨] وسلمك عنه من المذمّة .

والله لو لم يكن فيكم من خصال الحريّة[٣٩] وخلال النفوس الأبيّة إلّا أنّكم لا تدينون بالنفاق ولا تعبدون[٤٠] بالكذب ولا تستعملون المُواربة[٤١] في موضع الاستقامة وحيث تجب الثقة . ولا يكون حظّ الأحرار بالمواعيد صرفاً ،ولا تتكلون على ملامة الطالب ولا عجز الراغب إذا استنفدت أيامه وعجزت نفقته وماتت أسبابه ،بل تعجلون لهم الراحة عند تعذّر الأمور اليكم بالإياس[٤٢] وتحقّقون أطماعهم عند امكان الأمور لكم بالإنجاح .

فصل منه

وإنّك والله — أيّها الكريم المأمول والمستعطف المسؤول — لا تزرع المحبّة إلّا وتحصد الشكر ، ولا تكثر المودات إلّا إذا كثّر[٤٣] الناسُ الأموالَ ولا يشيع لك طلب[٤٤] الأحدوثة وجمال الحال في العشيرة إلّا بتجرع مرار المكروه ، ولن تنهض بأعباء المكارم التي توجبها النعمة وتفرضها المرتبة حتى تستشعر التفكر في التخلص الى إغنائهم والقيام بحسن ظنّهم ، وحتى ترحمهم من طول الانتظار ، وترقّ عليهم من موت الأمل واحياء القنوط[٤٥] ، وحتى تتغلغل ذلك[٤٦] بالحيل اللطيفة والعناية الشديدة الشريفة ، وحتى تتوخى الساعاتِ ، وتنتهز الفُرصَ في الحالاتِ ، وتتخيّر من الألفاظ أرقّها مسلكاً وأحسنها قبولاً وأجودها وقوعاً .

(٣٨) المقة : المحبة . وفي س : المنعة .
(٣٩) س : الحرمة .
(٤٠) ك : تعدون .
(٤١) المواربة : المداهاة والمخاتلة .
(٤٢) من ك ، س . وفي الأصل : الياس .
(٤٣) س : كثرت للناس .
(٤٤) س : تشيع لك طيب .
(٤٥) القنوط : الياس .
(٤٦) س : في ذلك .

(١٠)

فصل من صدر كتابه في الشارب والمشروب

(١٢٠ ا) / سألتَ - كرّم اللهُ وجهكَ وأدامَ رشدَكَ ولطاعته توفيقك ، حتى تبلغَ من مصالحِ دينكَ ودنياكَ منازلَ ذوي الألبابِ ، ودرجاتِ أهلِ الثوابِ - أنْ أكتبَ لك صفاتِ الشاربِ والمشروبِ وما فيهما من المدحِ والعيوبِ ، وأنْ أُمَيِّزَ لك بين الأنبذةِ والخمر ، وأنْ أقفكَ[١] على حدِّ السكرِ ، وأنْ أُعرفكَ السببَ الذي يُرغب في شربِ الأنبذةِ وما فيها من اجتلابِ المنفعةِ ، وما يُسكره من نبيذِ الأوعيةِ ، وقلتَ : وما فرق ما بين الجرار[٢] والسقاء والمزَفّت[٣] والحَنْتَم والدبّاء[٤] ؟ وما القول في الممتك[٥] والمكسوب ؟ وما فرق ما بين النَّقيعِ[٦] والدّاذي ؟ وما المطبوخ والباذَق[٧] ؟ وما الغربيّ والمروّق[٨] ؟ وما الذي يحلّ من الطبيخ ؟ وما القول في شرب الفضيخ[٩] ؟ وهل يُسكره نبيذ العَكَر[١٠] ؟ وما القول في عتيق السُّكَّر وأنبذة الجِرار وما يعمل من السكَّر ؟ ولم كُرِه النَّقير والمُقَيَّر ؟ وسألتَ عن نبيذ العسل والقَرْطبات[١١] ، وعن رزين سوق الأهواز ، وعن نبيذ أبي يوسف[١٢]

---

(١) ك : اوقفك .

(٢) من ك ، ب . وفي الأصل : الجر .

(٣) المزفت : الوعاء المطلي بالزفت ، وقيل : المُقيَّر . وفي الحديث عن النبي (ص) : (انه نهى عن المزفت من الأوعية) .

(٤) اوعية كانوا ينتبذون فيها . وفي الحديث عن النبي (ص) : (انه نهى عن الدُّبّاء والحنتم والنقير) . (الأشربة لابن حنبل ٤٣) .

(٥) المتك نبات تجمد عصارته . وفي ك ، ب : المحتل .

(٦) النَّقيع والنَّقوع : شيء ينقع فيه الزبيب وغيره ثم يُصفى ماؤه ويُشرب . والداذي سلف شرحه .

(٧) الباذق بفتح الذال وكسرها : الخمر الأحمر ، فارسية معربة . (ينظر المعرب ١٢٩ واللسان والقاموس : بذق) .

(٨) الغربي : فضيخ النبيذ ، يتخذ من الرطب وحده . والمروّق : المُصفَّى ، والراووق المصفاة الذي يروق به الشراب فيُصفّى .

(٩) الفضيخ : عصير العنب ، وهو ايضاً شراب يتخذ من البسر المفضوخ (اي المشدوخ) من غير أن تمسه النار .

(١٠) العكر : عكَرُ الشراب آخره وخاثره ، وعكِرَ الماء والنبيذ عكَراً إذا كدِرَ .

(١١) يقال : قرطبه فتقرطب على قفاه : انصرع . وفي ب : المقرطبات .

(١٢) يعقوب بن ابراهيم صاحب ابي حنيفة ، توفي ١٨٢هـ . (طبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٤ ، العبر ١/٢٨٤) .

والجمهور والمِعْلَق[١٣] والمسجور[١٤] والحلوتُرْش شيرين[١٥] ونبيذ الكشمش والتين ، ولِمَ كره الجلوس على البواطي والرياحين ؟وقلتَ : وما نصيب الشيطان وما حاصل الانسان ؟

وسألتَ عمن شرب الأنبذة أو كرهها من الأوائل ، وما جرى بينهم فيها من الأجوبة والمسائل ، وما كانوا عليه فيها من الآراء وتثبّتوافيها من الأهواء ، ولأيّ سبب تضادّت فيها الآثار واختلفت فيها الأخبار ؟ وسألتَ أنْ أقصدفي ذلك الى الإيجاز والإختصار وحذف الفضول[١٦] والإكثار ، وقلتَ : وإذْ جعل الله تعالى للعباد عن الخمر المندوحة بالأشربة الهنيّة[١٧] الممدوحة ، فما تقول فيما حسن من الأنبذة صفاه ، وبَعُدَ مداه ، واشتدت قواه ، وعتق حتى جاد ، وعاد بعد قدم الكون صافي اللون ، هل يحلّ اليه الاجتماع وفيه الاكتراع ، إذْ كان يهضم الطعام ويوطىء المنام ، وهو في لطائف / (١٢٠ ب) الجسم سارٍ وفي خفيات العروق جارٍ ، لا يضرّ معه برغوث" ولا بعوض" ولا جِرْجِس"[١٨] عضوض" ؟ وقلتَ : وكيف يحلّ لك ترك شربه إذا كانَ لك موافقاً ولجسمك ملائماً ؟ ولِمَ لاقلتَ : إنّ تاركَ شربه كتارك العلاج من الأدواء[١٩] ، وإنّه كالمعين على نفسه إذا ترك شربه أفحش الداء . وأنت تعلم أنّك إذا شربته عدلت به طبيعتك وأصلحت به صفار جسمك ، وأظهرت به حُمرة لونك ، فاستبدلت به من السقم صحّة ، ومن حلول العجز قوّة ، ومن الكسل نشاطاً ، والى اللذّة انبساطاً ، ومن الغمّ فرحاً ، ومن الجمود تحركاً ، ومن الوحشة أُنساً . وهو في الخلوة خير مسامر ، وعند الحاجة[٢٠] خير ناصر ، يترك الضعيف وهو مثل الأسد [في]العرين يُلان له ولا يلين .

وقلتَ : الجيد من الأنبذة يصفي الذهن ، ويقوي الركن ، ويشدّ القلب والظهر ، ويمنع الضيم والقهر ، ويشحذ المعدة ويهيج للطعام الشهوة ، ويقطع عن إكثار الماء الذي جلّ الأدواء منه ، ويحدّر رطوبة الرأس ويهيج العطاس ، ويشد البضعة ويزيد في النطفة ، وينفي القرقرة والرياح ، ويبعث الجود والسماح ، ويمنع الطحال من العظم ، والمعدة من التخم ، ويحدّر المرّة والبلغم ، ويلطف دم العروق ويجريه ، ويرقّقه ويصفيه ، ويبسط الآمال وينعم البال ، ويغشى الغلظ في الرئة ، ويصفي البشرة ، ويترك اللون كالعُصْفُر ، ويحدّر أذى الرأس في المنخر ، ويسوه الوجه ، ويسخن الكلية ، ويلذّ النوم ، ويحلل التخم ، ويذهب بالإعياء ، ويغذو لطيف الغذاء ، ويطيّب الأنفاس ، ويطرد الوسواس ، ويطرب النفس ، ويؤنس من

(١٣) المعلق : قدح يعلقه الراكب معه .
(١٤) المسجور : اللبن الذي ماؤه اكثر من لبنه . وفي ك ، ب : المسحوم .
(١٥) قال الجاحظ في كتابه الحيوان ١/١٤٣ : « وهم يسمون الشيء المرّ الحلو (ترش شيرين) وهو في التفسير حلو حامض » . وضبطها الاستاذ هارون بفتح التاء والصواب بضمها كما في الالفاظ الفارسية المعربة ٣٥ والمعجم الذهبي ١٨٦ .
(١٦) ساقطة من ك ، ب .
(١٧) ك ، ب : الهنيئة .
(١٨) الجرجس : البقّ وقيل البعوض . وفي ك : جرس .
(١٩) ك : من ادواء الادواء . ب : من ادوا الأواء .
(٢٠) ك : الجلبة . ب : الحلبة .

الوحشة ، ويسكن الروعة ، ويذهب الحشمة ،ويقذف فضول الصلب بالإنشاط للجماع ، وفضول المعدة بالهواع ، ويشجع المرتاع ، ويزهي الذليل ، ويكثر القليل ، ويزيد في جمال الجميل، ويسلي[٢١] الحزن ، ويجمع الذهن ، ويذهب الهمّ ، ويطرد الغمّ ، ويكشف عن قناع الحزم ، ويولد في الحليم الحلم ، ويكفي أضغاث الحلم،ويحث على الصبر ويصحح من الفكر، ويرجي القانط، ويرضي الساخط ، ويغني عن الجليس ، ويقوم مقام الأنيس • وحتى إنْ عزّ لم يقنط[٢٢] منه وإنْ حضر لم يصبر عنه ، يدفع النوازل العظيمة،وينقّي الصدر من الخصومة، ويزيد في المساغ[٢٣] وسخونة الدماغ ، وينشط الباه حتى لا يزيف شيئاً يراه ، وتقبله جميع الطبائع ، ويمتزج به صنوف البدائع / (١٢١ ا) من اللذة والسرور والنضرة والحبور • وحتى سُمي شربُهُ حصفاً وسُمي فقدُهُ خسفاً • وإنْ شرب منه الصرف بغير مزاج تحلّل بغير علاج ، ويكفي[٢٤] الأحزان والهموم ويدفع الأهواء والسموم ، ويفتح الذهن ويمنع الغبن ، ويُلَقّن الجواب ولا يكيد منه[٢٥] العتاب ، به تمام اللذات ، وكمال المروءات ، ليس لشيءٍ كحلاوته في النفوس ، وكسطوته في الجباه والرؤوس ، وكإنشاطه للحديث والجلوس ، يُحَمِّرُ الألوان ، ويرطّب الأبدان ، ويخلع عن الطرب الأرسان •

وقلتَ : وكلّ ذلك قبل أنْ يتلجلج[٢٦] اللسان ، ويكثر الهذيان ، ويظهر الفضول والأختلاط[٢٧] ، ويناوب الكسل بعد النشاط •فأمّا إذا تبيّن في الرأس الميلان ، واختلف[٢٨] عند المشي الرجلان ، وأكثر الاخفاق والتنخع والبصاق ، واشتملت عليه الغفلة وجاءت الزلّة بعد الزلّة ، أو سال على الصدر لعابه وصار في حد المخرفين لا يفهم ولا يبين • قبل دلالات النكر ، وظهور علامات السكر ، ينسى الذكر ،ويورث الفكر ، ويهتك الستر ، ويسقط من الجدار ، ويهور في الآبار ، ويغرق[٢٩] في الأنهار،ويعوق عن المعروف ، ويعرض للحتوف ، ويحمل على الهفوة ، ويؤكد الغفلة ، ويورث الصياح والصمات ، ويصرع الفهم للسبات ، فلغير معنى يضحك ، ولغير سبب يمحك ، ويحيد عن الإنصاف ، وينقلب على الساكت[٣٠] الكافي ، ثم يظهر السرائر ، ويطلع على ما في الضمائر ،من مكنون الأحقاد وخفي الاعتقاد •

وقد يقل على السكر المتاع ، ويطول منه الأرق والصداع ، ثم يورث بالغدوات الخمار ويختل سائر النهار ، ويمنع من إقامة الصلوات وفهم الأوقات ، ويعقب السلّ ، ويعقب في القلوب الغلّ ، ويجفف النطفة ويورث الرعشة ،ويولد الصفار ، وضروب العلل في الأبصار ، ويعقب الهزال ، ويجحف بالمال ، ويجفف الطبيعة،ويقوي الفاسد من المرّة ، ويذبل النفس ؛ ويفسد مزاج الحِسّ ، ويحدث الفتور في القلب ،ويبطىء عند الجماع الصبّ ، حتى يحدث من

(٢١) ب : يسل .
(٢٢) من ك ، ب . وفي الأصل : يقبض .
(٢٣) من ك ، ب . وفي الأصل : السماع .
(٢٤) ك ، ب : ينفي .
(٢٥) ب : معه .
(٢٦) ك ، ب : ومع كل ذلك فهو يلجلج . .
(٢٧) ب : الأخلاط .
(٢٨) كذا في الأصل و ك و ب . ولعلّها : اختلت.
(٢٩) ك : ويفرق بالفاء ، وهو تحريف .
(٣٠) ب : الساكب الكاف .

أجله الفتق الذي ليس له رتق ، ويحمل على المظالم وركوب المآثم ، وتضييع الحقوق حتى يقتل من غير علم ، ويكفر من غير فهم .

فصل منه

وقلتَ : ومن الحلو في المِعَد[٣١] التخم وفي الأبدان الوخم ، ولتَرْش شيرين[٣٢] رياح كمثل / (١٢١ ب) رياح العدس ، وحموضة تولد في الأسنان الضرس ، والسكر حسبك بفرط مرارته وكسوف لونه وبشاعة مذاقه ونفار الطبيعة عنه . وأنواع ما يعالج من التمور[٣٣] والحبوب فشربها الداء العضال . وللمسجور والبِتْي[٣٤] واشباههما كُدُورَة[٣٥] ترسب في المعدة وتولد بين الجلدتين الحكّة ، وأشباه هذا كثيرة تركتُ ذكرها ، لأني لم أقصدك بالمسألة أبتغي منك تحليل ما يجلب المضرّة ، ولكن ما تقول فيما يسرّك ولا يسوءك ، وإذا شربته تلقته العروق فاتحة أفواهها كأفواه الفِراخ[٣٦] مُحسِنة للون مُلذّة للنفس يجثم على المعدة ويُزوّد في العروق ، ويقصد الى القلب فيولّد فيه اللذّة وفي المعدة الهضم ، وهو غسولها ونضوحها ، ويسرع الى طاعة الكبد ويفيض بالعجل الى الطحال وينفخ منه العروق[٣٧] ، وتظهر حمرته بين الجلدتين ، ويزيد في اللون ، ويولّد الشجاعة والسخاء ، ويريح من اكتنان الضغن ، ويُعَفّي على تغيّر النكهة ، ويُنَقّي الذَّفَر[٣٨] ، ويسرع الى الجبهة ، ويغني عن الصَّلا ويمنع القَرّ[٣٩] .

وما تقول في نبيذ الزبيب الحمضي[٤٠] والعسل الماذي[٤١] إذا توّرد لونه وتقادم كونه، ورأيت حمرته في صفوته تلوح ، تراه في الكأس كأنّه بالشمس مُلتحِف ، شعاعه يضحك في الأكفّ ؟

وما تقول في عصير الكرم إذا أجدت طبخه وأنعمت إنضاجه وأحسن الدنّ نتاجه ، فإذا فضّ فضّ عن غضارة ، قد صار في لون البحاري[٤٢] في صفاء ياقوته ، يلمع في الأكفّ لمع الدنانير ، ويضيء كالشهاب المتّقِد ؟

وما تقول في نبيذ عسل مِصْرَ فإنّه يؤدي[٤٣] الى شاربه الصحيح من طعم

---

(٣١) ك ، ب : المعدة .
(٣٢) ك ، ب : ويولد للكرش رياحاً كمثل . وقد سلف شرح (ترش شيرين) .
(٣٣) ك ، ب : التمر .
(٣٤) ضرب من السمك . وفي ك ، ب : البتي . والمسجور : سلف شرحه .
(٣٥) من الكَدَر : وهو نقيض الصفاء .
(٣٦) من ب . وفي الاصل و ك : الفرخ .
(٣٧) ساقطة من ك ، ب .
(٣٨) الذفر : الصُنان . والذَّفر ايضاً كل ريح ذكية .
(٣٩) الصَّلا : اسم للوقود . والقرّ : البرد .
(٤٠) ك ، ب : الحمض .
(٤١) العسل الماذي : الأبيض . وفي ك ، ب : المازي ، بالزاي ، تحريف .
(٤٢) يقال : دم باحر وبحراني وباحري : اي خالص الحمرة . وفي ب : في لون المحارة او في صفاء ياقوتة تلمع ...
(٤٣) من ك ، ب . وفي الاصل : يؤذي شاربه .

الزعفران[٤٤] ما لا يلبس الخلقـان ، ولا يجود إلّا في جدد الدِنان ، ولا يستخدم الأجناس[٤٥] ولا يألف الأرجاس . وكذلك لا يزكو على علاج الجنب والحائض ولا ينقص على شيء من الأجسام لونه حتى لو غُمس فيه قطن لخرج أبيض يققاً ،وحسبك به في رِقّة الهواء يكدره صافي الماء ، وهو مع ذلك كالهِزَبْر ذي الأشبال المفترس للأقران ، مَنْ عاقره عقره ، ومن صارعه صرعه.

وما تقول في رزيـن الأهـواز من زبيب الداقياد ، إذْ يعود صلباً من غير [أنْ] يسيل سُلافُه أو يُماط عنه ثُفْلُه[٤٦] ، حتى يعودكلون العقيق في رائحة المسـك العتيـق[٤٧] ، أصلب الأنبذة عريكة وأصلبها صلابة وأشدّها خشونة ، ثم لا يستعين بعسل ولا سُكّر ولا دَوْشاب[٤٨] ، وما ظنّك به وهو زبيب نقيـع/ (١٢٢ ا) لا يشـتدّ ولا يجود إلّا بالضرب الوجيع ؟

وما تقول في الدوشاب البستاني سـلالة الرطب الجني بالحب الرتيليّ ، إذا أوجع ضرباً وأطيل حبساً أعطى صفوه ومنح رفده وبـذل ما عنده ، فإذا كشف عنه قناع الطين ظهر في لون الشقر والكمت ، وسطع برائحة كالمسك ، وإذا هَجَمَ[٤٩] على المعـدة لانت لـه الطبائـع وسلست[٥٠] له الأمعاء ، وأيس الحصر ، وانقطع طمع القولنج ، وانقادت له اليبوسة وأذعنت له بالطاعة وابتلّ به الجلد القَحْل[٥١] ، وارتحل عنه الباسور ، وكفى شـاربه الترح[٥٢] ، فإذا سنح بما تلظّى ورمى بشـرره هل يحـل أنْ يشعشع إذا سكن جأشه وآب اليه[٥٣] حلمه ؟

وما تقول في المُغلق من أنبذة التمر ، فإنّك تنظر اليه وكأنّ النيران تلمع من جوفه ، قد ركد ركود الزلال[٥٤] حتى لكأنّ شـاربه يكرع في شهاب ، ولكأنّ فِرَنْده[٥٥] في وجه سـيف ، وله صفيحة مرآة مجـلوة تحـكي الوجوه في الزجاجة حتى يفهم فيها الجُلّاس ؟

وما تقول في نبيذ الجزر الذي منه تمتـد النطفة ، وتشتدّ النقطة ، فيجلب[٥٦] الأحـلام ويركد في مُخ العظام ؟

وما تقول في نبيذ الكشمش الذي لونـه لون زمردة خضراء صافيـة ، محكم الصلابـة ،

---

(٤٤) ب : الزغفران ، وهو تصحيف .
(٤٥) ب : الأنجاس .
(٤٦) ثفل كل شيء : ما استقر تحته من كَدَره .
(٤٧) ب : الفتيق ، تحريف .
(٤٨) الدوشاب : نبيـذ التمر ، معرب . وورد في شعر ابن المعتز وابن الرومي . وقيل : هو النبيذ الأسود . وقال السمعاني : إنّه الدبس بالعربية (شـفاء الغليل ١٢٥) . وورد في البخـلاء ص ٦٤ ولم يشـرحه الحاجري واكتفى بذكره في فهرس الأطعمة وسكت عن معناه . (وينظر المعجم الذهبي ٢٨٣) .
(٤٩) ك ، ب : همّ .
(٥٠) ك ، ب : سليت .
(٥١) القحل : اليابس .
(٥٢) ك ، ب : الوخز .
(٥٣) ك ، ب : وابل حلمه .
(٥٤) ك ، ب : الذلال ، بالذال .
(٥٥) ك ، ب : ولكأنه فرند ..
(٥٦) ك ، ب : يجلب .

مفرط الحرارة ، حديد السورة ، سريع الإفاقة ،عظيم المؤنة ، كثير قصر العمر[٥٧] ، كثير العلل ، جمّ الهبات ، تطمع الآفات فيه ، وتسرع اليه ؟

وما تقول في نبيذ التين فإنّك تعلم أنّه معحرارته ليّن العريكة ، سلس الطبيعة ، عذب المذاق ، سريع الاطلاق ، مرهم للعروق ،نضوج[٥٨] للكبد ، فتّاح للسدد ، غسّال للأمعاء ، هيّاج للباء[٥٩] ، أخّاذ للثمن ، جلاّبللمَوْن[٦٠] ، مع كسوف لون وقبح منظر ؟

وما تقول في نبيذ السكّر الذي ليس مقدارالمنفعة منه على قَدر المؤنة فيه ؟ هل يوجد في المحصول لشربه معنى معقول ؟

وما تقول في المُرَوَّق والغَربيّ والفضيخ،ألذّ مشروبات في أزمانها ، وأنفع مأخوذات[٦١] في إبّانها ، أقلّ شيء مؤونة ، وأحسنه معونة ،وأكثر شيء قنوعاً وأسرعه بلوغاً ، ضمورات عروفات للخفاء ألوقات[٦٢] ، ولها أراييج علىالشاه اسفرمْ[٦٣] كأذكى رائحة تشمّ ، أقلّ المشروبات صداعاً وأشدهنّ خداعاً .

فصل منه

وكرهت أيضاً تقليد المختلف من الآثارفأكون كحاطب ليل دون التأمل والاعتبار لعلمي بأنّ كلام الشك لا يجلوه إلّا مفتاح اليقين .

فصل منه

(١٣٢ ب) / قد فهمتَ ــ أسعدك الله[تعالى] بطاعته ــ جميع ما ذكرت من أنواع الأنبذة وبديع صفاتها ، والفصل بين جيّدهاورديئها ونافعها وضارّها ، وما سألتَ من الوقوف على حدودها ، ولازلت من عداد منيسأل ويبحث[٦٤] ، ولازلنا في عداد من يشرح ويفصح .

اعلم ــ أكرمك الله ــ أنّك لو بحثتَ عنأحوال مَنْ يُؤثِر شرب الخمور على الأنبذة لم تجد إلّا جاهلاً مخذولاً ، أو حَدَثاًمغروراً ، أو خليعاً ماجناً ، أو رعاعاً همجاً ، ومَنْ إذا غدا بهيمة وإذا راح نعامة ، ليس عنده منالمعرفة إذا[٦٥] أكثر من انتحال القول بالجماعة ،

---

(٥٧) ك ، ب : قصير العمر . وكلمة (كثير) ساقطة منهما .

(٥٨) ب : نضّاح .

(٥٩) الباء والباءة والباه : النكاح والجماع . وفي الأصل و ك : الباه . وما اثبتناه من ب .

(٦٠) مانه : إذا احتمل مؤونته وقام بكفايته . وفي ب : للمؤن .

(٦١) ك ، ب : المشروبات .. الماخوذات .

(٦٢) ك ، ب : للرجل الوفي .

(٦٣) ك ، ب : على الشاة كاذكى .

(٦٤) ك ، ب : ولا يبحث .

(٦٥) (إذا) ساقطة من ب .

قد مزج له الصحيح بالمحال ، فهو يدين بتقليد الرجال ليشعشع الراح[66] ويحرم المباح ، فمتى عذله عاذل ووعظه واعظ قال : الأشربة كلها خمر فلا أشرب إلّا أجودها .

وقد أحببت ـ أيّدك الله ـ التوثق من اصغاء[67] فهمك وسؤت ظنّاً بالتغرير[68] ، فقدمتُ لك من التوطئة ما يُسَهّل [لك] سبيل المعرفة ، وذلك الى مثلك من مثلي حرم ، سيما فيما خفيت معالمه ودرست مناهجه وكثرت شبهه واشتد غموضه ، ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص عليّ البرهان في إظهاره واحتجب[69] في الإبانة عنه الى ذكر ضدّه ونظيره وشكله لم أحتشم من الاستعانة بكلّ ذلك ، فكيف والقدرة ـ بحمد الله ـ وافرة والحجّة واضحة . قد يكون الشيء من جنس الحرام فيعالج بضَرْب من العلاج حتى يتغيَّر بلونٍ يحدث له ورائحةٍ وطعمٍ ونحو ذلك فيتغيّر لذلك اسمه ويصير حلالاً بعد أنْ كان حراماً .

فصل [منه] في تحليل النبيذ دون الخمر

فإنْ قال لنا قائل : ما تدرون لعلّ الأنبذة قد دخلت في ذكر تحريم الخمر ، ولكن لمّا كان الابتداء أجري في ذكر تحريم الخمر خرج التحريم عليها وحدها في ظاهر المخاطبة ودخل سائر الأشربة في التحريم بالقصد والإرادة .

قلنا : قد علمنا أنّ ذلك على خلاف ما ذكر السائل لأسباب موجودة وعلل معروفة ، منها : أنّ الصحابة الذين شهدوا نزول الفرائض والتابعين من بعدهم لم يختلفوا في قاذف المُحصَنين أنّ عليه الحدّ ، واختلفوا في الأشربة التي تُسكر ، ليس لجهلهم أسماء الخمور ومعانيها ، ولكنّ الأخبار المروية في تحريم المُسكر والواردة في تحليلها ، ولو كانت الأشربة كلها عند أهل اللغة في القديم خمراً لما احتاجوا الى أهل الروايات في الخمر أيّ الأجناس من الأشربة/ (١٢٣ أ) هي ؟ كما لم يخرجوا الى طلب معرفة العبيد من الإماء . وهذا باب يطول شرحه إنْ استقصيت جميع ما فيه من المسألة والجواب .

وما يُنكر مَنْ خالفنا في تحليل الأنبذة مع إقراره بأنّ الأشربة المُسْكِرة الكثيرة لم تزل معروفة بأسمائها وأعيانها وأجناسها وبلدانها، وأنّ الله تعالى قصد الخمر[70] من بين جميعها فحرّمها وترك سائر الأشربة طلقاً مع أجناس سائر المباح ، والدليل على تجويز ذلك أن الله تعالى ما حرّم على الناس شيئاً من الأشياء في القديم والحديث إلّا أطلق لهم من جنسه وأباح من سَنْخه[71] ونظيره وشبهه ما يعمل مثل عمله أو قريباً منه ، ليغنيهم الحلال عن الحرام ، أعني ما حرّم بالسمع دون المُحرّم بالعقل[72] . قد حرّم من الدم المسفوح وأباح غير المسفوح

(٦٦) ك ، ب : الداح ، بالدال .
(٦٧) ب : صفاء .
(٦٨) ك : التقرير .
(٦٩) ب : واحتجت .
(٧٠) ك ، ب : للخمر .
(٧١) السنخ : الأصل من كل شيء .
(٧٢) من ك ، ب . وفي الأصل : في العقل .

كجامد دم الطحال والكبد وما[٧٣] أشبههما ،وحرّم الميتة وأباح الذكيّة[٧٤] ، وأباح أيضاً ميتة البحر وغير البحر كالجراد وشبهه ، وحرّم الرِّبا وأباح البيع ، وحرّم بيع ما ليس عندك ، وأباح السلم وحرّم الضيم[٧٥] وأباح الصلح ،وحرّم السِفاح وأباح النِكاح ، وحرّم الخنزير وأباح الجدي الرضيع والخروف والحُوار[٧٦].والحلالُ في كلّ ذلك أعظمُ موقعاً من الحرام .

فصل منه

ولعلّ قائلاً يقول : أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكان حرمه ودار هجرته أبصر بالحلال والحرام والمُسْكر والخمر وماأباح الرسول وما حظره ، وكيف لايكون[٧٧] كذلك والدين ومعالمه من عندهم خرج الى الناس،والوحي عليهم نزل ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم فيهم دُفن . وهم المهاجرون السابقون والأنصارالمؤثرون على أنفسهم ، وكلهم مُجمع على تحريم الأنبذة المسكرة وأنّها كالخمر ، وخلَفهم علىمنهاج سلفهم الى هذه الغاية حتى أنّهم جلدوا على[٧٨] الريح الخفيّ . وكيف لا يفعلون ذلكويدينون به وقد شهدوا من شهد النبي صلى الله عليه [وسلم] قد حرّمها وذمّها وأمر بجلدشاربها ، ثم كذلك فعل أئمة الهدى من بعده ، فهم الى اليوم على رأي واحد وأمر متفق ، ينهونعن شربها ويجلدون عليها . وإنّا نقول في ذلك : إنّ عظم حقّ البلدة لا يحل شيئاً ولا يُحرّمه ،وإنّما يُعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق والسنّة المجمع عليها والنقول الصحيحة والمقاييسالمعينة .

وبعدُ فمَنْ هذا المهاجري والأنصاريالذي رَوَوْا عنه تحريم الأنبذة ثم لم يَرْوَ عنه التحليل ؟ بل لو أنصف القائل لعلم أنّ الذين منأهل المدينة حرّموا / (١٢٣ ب) الأنبذة ليسوا بأفضل من الذين أحلّوا النكاح في أدبار النساء ،كما استحلّ قوم من أهل مكة عارية الفروج ، وحرّم بعضهم ذبائح الزنوج . لأنّهم فيما زعموامشوهو الخلق ، ثم حكموا بالشاهد واليمين خِلافاً لظاهر التنزيل . وأهل المدينة وإنْ كانواجلدوا على الريح الخفي فقد جلدوا على حمل الزِّق الفارغ . لأنّهم زعموا أنّه آلة الخمر ،حتى قال بعض[٧٩] مَنْ ينكر عليهم : فهلاّ جلدوا أنفسهم لأنّه ليس منهم إلّا ومعه آلةالزنا ، وكان يجب على هذا المثال أنْ يُحكم بمثل ذلك على حامل السيف والسكين والسمّ القاتل.في نظائر ذلك ، لأنّ هذه كلّها آلات القتل .

وبعدُ فأهل المدينة لم يخرجوا من طبائعالإنس الى طبائع الملائكة ، ولو كان كلّ ما

(٧٣) (ما) ساقطة من ب .

(٧٤) التذكية : الذبح والنحر .

(٧٥) (وأباح السلم وحرم الضيم) ساقط من ك . ب .

(٧٦) الحوار بضم الحاء : ولد الناقة ، ولايزال حواراً حتى ينفصل عن امه ، فإذا فُصِل فهو فصيل .

(٧٧) ب : يكونون .

(٧٨) من ك ، ب . وفي الأصل : في .

(٧٩) من ك ، ب . وفي الأصل : بعضهم ، تحريف .

يقولونه حقاً وصواباً لجلدوا مَنْ[٨٠] كان في دار مَعْبَد[٨١] والغَرِيض[٨٢] وابن سُرَيْج[٨٣] ودَحْمان[٨٤] وابن مُحْرِز[٨٥] وعَلّويـة[٨٦] وابن جامـع[٨٧] ومُخارِق[٨٨] ، وابن شـريك ووكيع وحماد وابراهيم[٨٩] وجماعـة التابعـين والسلف المتقدمين ، لأنّ هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الأنبذة التي هي عندهم خمر ، وأولئك كانوا يعالجون الأغاني التي هي حِلّ طلق على نقر العيدان والطنابير والنايات والصنج والزيج والمعازف التي ليست مُحَرَّمة ولا منهيّـاً عن شيء منها ، ولو كان ما خالفونا فيه من تحليـل الأنبذة وتحريمها كالاختلاف في الأواني وصفاتها وأوزانها واختلاف مخارجها ووجوه مصارفهـا ومجاريها وما يدمج ويوصـل منها[٩٠] . ومـا للحنجرة والحنك والنفس واللهوات وتحت اللسان من نغمها ، وأيّ الدسـاتين[٩١] أطرب وأيّهـا أصوب وما يحفز[٩٢] بالهمز أو يحرك بالضمّ ، وكالقول بأنّ[٩٣] الهـزج بالبنصـر أطيبُ أو بالوسطى والسريع على الزير ألذ ، أو على[٩٤] المثنى والمُصَعّد في لين أطربُ ، أم المحدر في الشدّة ، لسهل ذلك ولسلّمنا علمه لمن يدّعيـه ولم نجاذب من يدّعي دوننا معرفته .

فصـل منـه

ولهج أصحاب الحديث بحكم لم أسـمع بمثله في تزييف الرجال وتصحيح الأخبار ، وإنّما أكثروا في ذلك لتعلم حيدهم عن التفتيش وميلهم عن التنقير وانحرافهم عن الإنصاف .

فصـل منـه

والذي دعاني الى وضع جميع هذه الأشربة والوقوف على أجناسها وبلدانها مخافة أنْ يقع هذا الكتاب عند بعض من عساه لا يعرف جميعها ولم يسمع / (١٢٤ ا) ذكرها[٩٥] فيتوهم أنّي في ذكر أجناسها المستشنعة وأنواعها المبتدعـة كالهاذي بُرقْية العقرب[٩٦] ، وإنْ كان قصدي لذكرها في صـدر الكتاب لأقف على حلالهـا وحرامها ، وكيف اختلفت الأئمّة فيها ؟ وما سبب

---

(٨٠) من ك ، ب . وفي الأصل : لقد كان في .
(٨١) معبد بن وهب نابغة الغناء في العصر الأموي، ت ١٢٦ هـ (الأغاني ١/٣٦-٥٩) .
(٨٢) عبدالملك ، من اشـهر المغنـين في صـدر الاسلام ، ت ٩٨هـ (الأغاني ١/٢٤٨) .
(٨٤) عبدالرحمن بن عمرو ، عالم بالغناء ، ت ١٦٥هـ (الأغاني ٦/٢١-٣٦٢) .
(٨٥) مسلم بن محرز ، كان يقـال لـه صناج العرب ، ت نحو ١٤٠هـ (الأغاني ١/٣٧٨).
(٨٦) علي بن عبدالله ، كان مغنياً حاذقـاً ، ت ٢٣٦ هـ (الأغاني ١١/٣٣٣-٣٦٢) .
(٨٧) اسماعيل بن جامع ، كان مغنياً ملحناً ، وكان حافظاً للقرآن متعبداً ، ت ١٩٢ هـ (الأغاني ٦/٢٨٩-٣٢٦) .
(٨٨) سلفت ترجمته .
(٨٩) ابراهيم الموصلي النديم ، اوحد زمانه في الغناء واختراع الألحـان ، ت ١٨٨ هـ . (الأغاني ٥/١٥٤-٢٥٨ ، تاريخ بغـداد ٦/١٧٥) .
(٩٠) (وما) ساقطة من ك ، ب .
(٩١) الدستان : من اصطلاحات اصحاب الموسيقى ومعناها النغمـة بالفارسـية (الألفـاظ الفارسية المعربة ٦٤ والمعجم الذهبي ٢٦٧).
(٩٢) ك : يحفر .
(٩٣) من ك ، ب . وفي الأصـل : وكالقـول في الهزج .
(٩٤) ك ، ب : وعلى ..
(٩٥) ك ، ب : بذكرها .
(٩٦) يشبّه بها ما لا يفهم من الكلام (ثمـار القلوب ٤٣١) .

اعتراض الشك واستكمان الشبهة ، ولأنْ أحتج للمباح وأُعطيه حقّه ، وأكشف أيضاً عن المحظور فأقسم له قسطه فأكون قد سلكت بالحرام سبيله وبالحلال منهجه اقتداءً مني بقول الله جلّ وعزّ : (يا أيُّها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين)[97] .

وقد كتبتُ لك ــ أكرمك الله [تعالى] ــ في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية ولو بسطت القول لوجدته متسعاً ولأتاك منه الدَّهْم[98] ، ورُبَّما كان الإقلال في إيجاز أجدى من إكثار يخاف عليه الملل ، فخلطت لك جدّاً بهزل وقرنت لك حجة بمُلْحة ، لتخف مؤُونة الكتاب على القاريء وليزيد ذلك في نشاط المستمع ، فجعلت الهز لبعد الجِدّ جماماً ، والملحة بعد الحجة مُستراحاً .

(97) المائدة ٨٧ .   (98) الدَّهم : الكثير .

مصادر التحقيق

١ ـ الاخبار الطوال : ابو حنيفة الدينوري ، احمد بن داود ، ت ٢٨٢هـ ، تح عبدالمنعم عامر ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢ ـ اخبار النحويين البصريين : السيرافي ، ابو سعيد الحسن بن عبدالله ، ت ٣٦٨هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥ .

٣ ـ اسد الغابة : ابن الاثير ، عزالدين علي بن محمد ، ت ٦٣٠هـ ، القاهرة ١٩٧٠ـ٧٣ .

٤ ـ الاصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ، ت ٨٥٢هـ ، تح البجاوي ، مط نهضة مصر ١٩٧١ .

٥ ـ الاضداد : الاصمعي ، عبدالملك بن قريب ، ت ٢١٦ ، نشره هفنر في (ثلاثة كتب في الاضداد) ، بيروت ١٩١٢ .

٦ ـ الاضداد : ابن الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨هـ ، تح ابي الفضل ، الكويت ١٩٦٠ .

٧ ـ الاغاني : ابو الفرج الاصبهاني ، علي بن الحسين ، ت نحو ٣٦٠هـ ، طبعة دار الكتب المصرية .

٨ ـ امتاع الاسماع : المقريزي ، احمد بن علي ، ت ٨٤٥هـ ، تح محمود شاكر ، مصر ١٩٤١ .

٩ ـ انباه الرواة على انباه النحاة : القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، ت ٦٤٦هـ ، تح ابي الفضل ، مط دار الكتب المصرية ١٩٥٥ .

١٠ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء : ابن عبدالبر القرطبي ، ت ٤٦٣هـ ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

١١ـ بهجة المجالس : ابن عبدالبر القرطبي ، تح محمد مرسي الخولي ، مصر ١٩٦٧ـ٦٩ .

١٢ـ البيان والتبيين : الجاحظ ، عمرو بن بحر ، ت ٢٥٥هـ ، تح عبدالسلام هارون ، مصر ١٩٤٨ .

١٣ـ تاريخ الاسلام : الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد ، ت ٧٤٨هـ ، مط السعادة بمصر ١٩٦٧ـ٦٩ .

١٤ـ تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، احمد بن علي ، ت ٤٦٣ ، مط السعادة بمصر ١٩٣١ .

١٥ـ تاريخ الخلفاء : السيوطي ، جلال الدين ، ت ٩١١هـ ، تح محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٦٩ .

١٦ـ تذكرة الحفاظ : الذهبي ، حيدر آباد ١٣٣٣هـ .

١٧ـ تقريب التهذيب : ابن حجر ، تح عبدالوهاب عبداللطيف مصر .

١٨ـ تهذيب التهذيب : ابن حجر ، حيدر آباد ١٣٢٥هـ .

١٩ـ ثمار القلوب : الثعالبي ، عبدالملك بن محمد ، ت ٤٢٩هـ تح ابي الفضل ، القاهرة ١٩٦٥ .

٢٠ـ الجرح والتعديل : ابن ابي حاتم الرازي ، عبدالرحمن ابن محمد ، ت ٣٢٧هـ ، حيدر آباد .

٢١ـ جمهرة الامثال : العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبدالله ت ٣٩٥هـ ، تح ابي الفضل وقطامش ، مصر ١٩٦٤ .

٢٢ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية : القرشي ، عبدالقادر ابن محمد ، ت ٧٧٥هـ ، حيدر آباد ١٣٣٢هـ .

٢٣ـ حلية الاولياء : ابو نعيم الاصبهاني ، احمد بن عبدالله ، ت ٤٣٠هـ ، مط السعادة بمصر ١٩٣٨ .

٢٤ـ خزانة الادب : البغدادي ، عبدالقادر بن عمر ، ت ١٠٩٣هـ ، بولاق ١٢٩٩ .

٢٥ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : الخزرجي ، احمد بن عبدالله ، ت بعد سنة ٩٢٣هـ ، تح محمود عبدالوهاب فايد ، القاهرة ١٩٧١ .

٢٦ـ الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة : حمزة الاصفهاني ، ت ٣٦٠هـ ، تح عبدالمجيد قطامش ، مصر ١٩٧١ـ ٧٢ .

٢٧ـ ديوان الخريمي : تح د. علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد ، بيروت ١٩٧١ .

٢٨ـ ديوان الفرزدق : طبعة الصاوي ، مصر ١٣٥٤هـ .

٢٩ـ ديوان الهذليين : مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٥ .

٣٠ـ ذكر أخبار أصبهان : أبو نعيم الاصبهاني ، ليدن ١٩٣١ .

٣١ـ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك : المقريزي ، تح د. جمال‌الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ .

٣٢ـ الروض الانف : السهيلي ، عبدالرحمن بن عبدالله الاندلسي ، ت ٥٨١هـ ، تح عبدالرحمن الوكيل ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣٣ـ الزاهر : أبو بكر بن الانباري ، تح حاتم صالح الضامن، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ١٩٧٧ .

٣٤ـ سرح العيون : ابن نباتة ، جمال‌الدين ، ت ٧٦٨هـ ، تح أبي الفضل ، القاهرة ١٩٦٤ .

٣٥ـ شعر الخليل بن أحمد : حاتم صالح الضامن وضياءالدين الحيدري ، مط المعارف ، بغداد ١٩٧٣ .

٣٦ـ الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، عبدالله ، ت ٢٧٦هـ ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

٣٧ـ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ، ت ٢٦١هـ ، تح محمد فؤاد عبدالباقي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥.

٣٨ـ الطبقات : خليفة بن خياط ، ت ٢٤٠ هـ ، تح سهيل زكار ، دمشق ١٩٦٦ـ٦٧ .

٣٩ـ طبقات الحفاظ : السيوطي ، تح علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٣ .

٤٠ـ طبقات القراء (غاية النهاية) : ابن الجزري ، محمد بن محمد ، ت ٨٣٣ هـ ، تح برجستراسرو برتزل ، القاهرة ١٩٣٢ـ٣٥ .

٤١ـ الطبقات الكبرى : ابن سعد ، محمد ، ت ٢٣٠هـ ، بيروت ١٩٥٧ .

٤٢ـ طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي ، محمد ابن الحسن ، ت ٣٧٩هـ ، تح ابي الفضل ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

٤٣ـ عيون الاخبار : ابن قتيبة ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ـ٣٠ .

٤٤ـ غريب الحديث : أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، ت ٢٢٤هـ ، حيدر آباد ١٩٦٥ـ٦٧ .

٤٥ـ الفاخر : المفضل بن سلمة ، ت ٢٩١هـ ، تح الطحاوي، مصر ١٩٦٠ .

٤٦ـ الفائق في غريب الحديث : الزمخشري ، محمود بن عمر ، ت ٥٣٨هـ ، تح البجاوي وابي الفضل ، البابي الحلبي بمصر ١٩٧١ .

٤٧ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري : ابن حجر ، القاهرة .

٤٨ـ فصل المقال : البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز ، ت ٤٨٧هـ ، تح د. احسان عباس وعبدالمجيد عابدين ، بيروت ١٩٧١ .

٤٩ـ فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي ، محمد ، ٧٦٤هـ ، تح د. احسان عباس ، بيروت ١٩٧٣ـ٧٤ .

٥٠ـ الكامل : المبرد ، محمد بن يزيد ، ت ٢٨٦هـ ، تح زكي مبارك واحمد شاكر ، البابي الحلبي بمصر ١٩٣٦ـ ٣٧ .

٥١ـ الكامل في التاريخ : ابن الاثير ، عزالدين ، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦ .

٥٢ـ لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ بيروت ١٩٦٨ .

٥٣ـ لسان الميزان : ابن حجر ، حيدر آباد ١٣٣١هـ .

٥٤ـ مجمع الامثال : الميداني ، احمد بن محمد ، ت ٥١٨هـ ، تح محيي‌الدين عبدالمجيد ، مصر ١٩٥٩ .

٥٥ـ المحبر : محمد بن حبيب ، ت ٢٤٥هـ ، حيدر آباد ١٩٤٢ .

٥٦ـ مختار الصحاح : الرازي ، محمد بن أبي بكر ، ت ٦٦٦هـ ، مط الترقي بدمشق ١٣٥٨هـ .

٥٧ـ مرآة الجنان : اليافعي ، عبدالله بن أسعد ، ت ٧٦٨هـ، بيروت ١٩٧٠ .

٥٨ـ مروج الذهب : المسعودي ، علي بن الحسين ، ت ٣٤٦هـ بيروت ١٩٦٥ .

٥٩ـ المستقصى : الزمخشري ، حيدر آباد ١٩٦٢ .

٦٠ـ مشاهير علماء الامصار : محمد بن حبان البستي ، ت ٣٥٤هـ ، تح فلايشهمر ، القاهرة ١٩٥٩ .

٦١ـ المعارف : ابن قتيبة ، تح د. ثروة عكاشة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

٦٢ـ معجم الشعراء : المرزباني ، محمد بن عمران ، ت ٣٨٤هـ تح عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ١٩٦٠ .

٦٣ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار مطابع الشعب .

٦٤ـ المعرب : الجواليقي ، موهوب بن أحمد ، ت ٥٤٠هـ ، تح أحمد محمد شاكر ، مط دار الكتب المصرية ١٩٦٩ .

٦٥ـ معرفة القراء الكبار : الذهبي ، تح محمد سيد جادالحق مط دار التاليف بمصر ١٩٦٩ .

٦٦ـ المنمق في اخبار قريش : محمد بن حبيب ، حيدر آباد ١٩٦٥ .

٦٧ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي ، تح البجاوي، البابي الحلبي بمصر .

٦٨ـ نسب قريش : مصعب بن عبدالله الزبيري ، ت ٢٣٦هـ ، تح بروفنسال ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

٦٩ـ نكت الهميان : الصفدي ، خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤هـ، القاهرة ١٩١١ .

٧٠ـ النهاية في غريب الحديث والاثر : ابن الاثير ، مجدالدين المبارك بن محمد ، ت ٦٠٦هـ ، تح محمود محمد الطناحي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٦٣ـ٦٥ .

٧١ـ نور القبس من المقتبس : اليغموري ، يوسف بن احمد ، ت ٦٧٣هـ ، تح زلهايم ، مط الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤ .

٧٢ـ الوسيط في الامثال : المنسوب الى الواحدي ، علي بن بن احمد ، ت ٤٦٨هـ ، تحـ د. عفيف محمد عبدالرحمن ، نشر مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ١٩٧٥ .

٧٣ـ وفيات الاعيان : ابن خلكان ، شمس‌الدين احمد بن محمد ، ت ٦٨١هـ ، تحـ د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .

٧٤ـ ولاة مصر : الكندي ، محمد بن يوسف ، ت ٣٥٠هـ ، تحـ د. حسين نصار ، دار صادر ـ بيروت ١٩٥٩.

المستدرك على المصادر

٧٥ـ الاشربة : أحمد بن حنبل ، ت ٢٤١هـ ، تحـ صبحي جاسم ، مط العاني ، بغداد ١٩٧٦ .

٧٦ـ الالفاظ الفارسية المعربة : أدي شير ، مط الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٨ .

٧٧ـ أمالي القالي : ابو علي القالي ، اسماعيل بن القاسم ، ت ٣٥٦هـ ، دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

٧٨ـ البخلاء : الجاحظ ، تحـ د. طه الحاجري ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

٧٩ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان : الجاحظ ، تحـ محمد مرسي الخولي ، القاهرة ١٩٧٢ .

٨٠ـ الجامع الصغير في احاديث البشير النذير : السيوطي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

٨١ـ جمهرة المغنين : خليل مردم ، ت ١٩٥٩ ، مط الهاشمية، دمشق ١٩٦٤ .

٨٢ـ ديوان الطرماح : تحـ د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٨ .

٨٣ـ رسائل الجاحظ : نشرها حسن السندوبي، مط الرحمانية بمصر ١٩٢٣ .

٨٤ـ سنن ابن ماجه : ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، ت ٢٧٥هـ، تحـ محمد فؤاد عبدالباقي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٢ .

٨٥ـ سنن ابي داود : ابو داود ، سليمان بن الاشعث ، ت ٢٧٥هـ ، تحـ عزة عبيد وعادل السيد ، سورية ١٩٧٣ .

٨٦ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : الخفاجي ، شهاب‌الدين احمد ، ت ١٠٦٩هـ ، مصر ١٩٥٢ .

٨٧ـ طبقات الفقهاء : الشيرازي ، ابراهيم بن علي ، ت ٤٧٦هـ ، تحـ د. احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠ .

٨٨ـ العبر في خبر من غبر : الذهبي ، تحـ فؤاد السيد ، الكويت ١٩٦١ .

٨٩ـ الفاضل : المبرد ، تحـ الميمني ، دار الكتب المصرية ١٩٥٦ .

٩٠ـ مجموعة رسائل : الجاحظ ، نشرها محمد ساسي المغربي ، مط التقدم بمصر ١٣٢٤هـ .

٩١ـ المذكر والمؤنث : ابن فارس ، أحمد ، ت ٣٩٥هـ ، تحـ د. رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٦٩ .

٩٢ـ المذكر والمؤنث : الفراء ، يحيى بن زياد ، ت ٢٠٧هـ ، تحـ د. رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٧٥ .

٩٣ـ المسند : أحمد بن حنبل ، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٩ .

٩٤ـ المعجم الذهبي : د. محمد التونجي ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩ .

٩٥ـ منتهى الطلب من أشعار العرب : محمد بن المبارك ، ت بعد ٥٨٩هـ ، مصورة عن نسخة جامعة ييل .

٩٦ـ المؤتلف والمختلف : الآمدي ، الحسن بن بشر ، ت ٣٧٠هـ، تحـ عبدالستار احمد فراج ، البابي الحلبي بمصر ١٩٦١ .

٩٧ـ النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ، جمال‌الدين يوسف ، ت ٨٤٧هـ ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

٩٨ـ نصرة الاغريض في نصرة القريض : المظفر بن الفضل العلوي ، ت ٦٥٦هـ ، تحـ د. نهى عارف الحسن ، دمشق ١٩٧٦ .